الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي بلحاج بوشعيب بعين تموشنت
معهد اللغات والآداب

قسم العلوم الاجتماعية شعبة علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية في مادة:

نظريات علم الاجتماع الحديثة 1و2
لطلاب السنة الثانية شعبة علم الاجتماع

من إعداد الدكتورة: حفيظة قباطي

الممتحن الأول	الأستاذ الدكتور رمضان محمد	معهد الآداب واللغات المركز الجامعي بعين تموشنت
الممتحن الثاني	الأستاذ الدكتور بشير محمد	كلية العلوم الاجتماعية جامعة تلمسان

السنة الجامعية: 2018-2019

فهرس المحتويات	الصفحة
1. النظرية العلمية:	ص06
1.1. مفهوم النظرية:	ص06
1.2. عناصر النظرية العلمية:	ص07
1.3. العلاقة بين النظرية والبحث:	ص07
1.4. وظائف النظرية:	ص08
1.5. مفهوم النظرية الاجتماعية:	ص08
1.6. المنهج العلمي في البحث:	ص08
1.7. العلاقة بين النظرية والبحث العلمي:	ص08
2. ثانيا: التصنيف العلمي للنظرية الاجتماعية:	ص09
2.1. صعوبات التصنيف العلمي:	ص09
2.2. معايير التصنيف:	ص09
2.3. أشكال التصنيف العلمي:	ص09
2.3.1. التصنيف التاريخي	ص10
2.3.2. التصنيف وفق المدارس	ص11
2.3.3. التصنيف الجغرافي	ص11
2.3.4. التصنيف المنهجي	ص11
2.3.5. التصنيف الإيديولوجي	ص11
2.3.6. التصنيف الفلسفي	ص12
3. الوضعية التقليدية:	ص13
3.1. مفهوم الوضعية:	ص13
3.2. نشأة الوضعية:	ص13
4. الأسس الفلسفية:	ص13
5. الاسس السوسيولوجية:	ص14
6. الفكر الوضعي عند اوغست كونت:	ص15

7. مفاهيم الطرح النظري:	ص17
8. ثالثا: الوضعية المحدثة:	ص19
9. مفهوم الوضعية المحدثة:	ص19
10. روافد الوضعية المحدثة:	ص19
10.1.1. النزعة الكمية:	ص19
10.1.2. النزعة السلوكية:	ص19
10.1.3. الابستيمولوجيا الوضعية:	ص20
11. الأسس النظرية للوضعية المحدثة:	ص20
12. ه) روّاد الوضعية المحدثة:	ص20
13. و) النقد الموجه للوضعية المحدثة:	ص21
14. رابعا: النظرية الوظيفية:	ص22
15. علم الاجتماع البنائي:	ص22
16. مفهوم الوظيفية:	ص23
17. مصطلح الوظيفة:	ص24
18. روافد الوظيفية:	ص28
19. إميل دوركهايم (1858-1917):	ص28
20. عناصر الفكر الوظيفي الدوركايمي:	ص28
21. تقسيم دوركايم للمجتمع:	ص29
22. نشأة الاتجاه البنائي- الوظيفي:	ص31
23. اسهامات الانتروبولوجيا	ص31
24. اسهامات تالكوت بارسونز (1902-1979):	ص32
25. تطور اعمال بارسونز:	ص33
26. خامسا:النظرية الوظيفية المحدثة:	ص35
27. إسهامات روبرت ميرتون Robert Merton:	ص35
28. النظرية الماركسية التقليدية	ص39

29. النظرية الماركسية المحدثة	ص41
30. النظرية النقدية التقليدية	ص 44
31. النظرية النقدية الحديثة	ص 46
32. نظرية التبادل الاجتماعي.	ص 49
32.1. التبادلية البنائية	ص 50
32.2. التبادلية السلوكية	ص 52
33. نظرية التفاعلية الرمزية.	ص 56
34. مقارنة بين التفاعلية الرمزية والتبادلية.	ص 61
35. نظرية الظاهراتية.	ص 64
36. نظرية المنهجية الشعبية.	ص 67
37. نظرية ابن خلدون: العمران البشري.	ص 73
38. الفكر الاجتماعي العربي.	ص 75

أولا: النظرية العلمية:

اعتمد علم الاجتماع في نشأته على الفلسفة والعلوم السياسية والتاريخ وعلوم أخرى عديدة، ثم استقل عنها بعد أن أصبحت لديه منهجية خاصة به ونظريات تفسر الظواهر الاجتماعية والواقع الاجتماعي. سنحاول من خلال محاضرات النظريات السوسيولوجية الحديثة -1- أن نتطرق لأهم النظريات الحديثة أو المحدثة كما تسمى في بعض الأدبيات، معتمدين في ذلك على مدخل أو توطئة لهذا المقياس نستعرض فيه أبجديات مفاهيمية ضرورية لفهم محتواه.

1. مفهوم النظرية:

لازالت المفاهيم العلمية تشكل تحديا أمام العلماء لأنها لا تخدم فقط تطور العلم والتخصصات وإنما تعبر عن التطور الذي وصل إليه مجال علمي وكيفية تغير مفاهيمه هي الدليل على ذلك، دون أن ننسى أنّ العلماء نفسهم قد يختلفون في إنتاج المفاهيم وهذا أيضا من طبيعة التطور العلمي.

يقدم لنا عبد المعطي مفهوما عاما اتفق عليه العلماء وهو"أنّ النظرية العلمية نسق فكري استنباطي متسق حول ظاهرة أو مجموعة من الظاهرات المتجانسة، ويحتوي هذا الأخير إطارا تصوريا ومفهومات وقضايا نظرية توضح العلاقات بين الوقائع وتنظمها بطريقة دالة وذات معنى، كما أنها ذات بعد امبريقي بمعنى اعتمادها على الواقع ومعطياته، وذات توجيه تنبئي يساعد على تفهم مستقبل الظاهرة ولو من خلال تعميمات احتمالية". (عبد المعطي،19:2009)

ولكن هذا المفهوم يبدو عاما جدا لذلك سنقارنه مع مفاهيم أخرى من خلال عالمين يذكرهما (غربي، 2007: 37) فيما يلي:

يعرف مرتون: Robert Merton النظرية بأنها "مجموعة من التصورات المترابطة بصورة منطقية، وهي محدودة وغير شاملة. يرى أن النظرية تبدأ بالتكون عندما تترابط مجموعة من المفاهيم في شكل قضايا حول متغيرات واقعية".

أما أرنولد روس: Arnold Ross فيرى بأنها " بناء متكامل يضم مجموعة من التعريفات والافتراضات وقضايا عامة تتصل بظاهرة معينة، يمكن أن يستنبط منها منطقيا مجموعة من الفرضيات القابلة للاختبار بحيث تحقق التنبؤ والتفسير."

2. عناصر النظرية العلمية:

أ) الملاحظة: هي وسيلة لجمع المعلومات من العالم المحيط بنا وأداة أولية في البحث العلمي، فالعلم يبدأ منها وينتهي إليها؛ وهي نوعان: الملاحظة البسيطة الغير مقصودة/الغير مضبوطة (ملاحظة حسية)، والملاحظة العلمية المقصودة/المضبوطة (الملاحظة المنظمة) تخضع للضبط العلمي من ناحية موضوع الملاحظة وظروفها الزمنية والمكانية.

ب) صياغة المفاهيم: تعتبر المفاهيم جزءا مهما من النظرية العلمية، طالما أنها تتكون من مجموعة أفكار مترابطة ترابطا منطقيا وجدليا. وهي أفكار دينامكية قابلة للتغير والتحول تبعا لتبدل ظروف المجتمع الموضوعية والإيديولوجية. من شروطها: الدقة، الوضوح، التجريب والاختبار.

ج) الفرضيات: تعّد الفرضية تفسيرا مؤقتا أو محتملا يوضح العوامل أو الأحداث أو الظروف التي يحاول الباحث فهمها. وتصاغ في صيغة الإثبات أو صيغة النفي. من شروطها: قابلية الاختبار، الإثبات الموضوعي والعلمي، الوضوح، عدم التناقض والازدواجية في الموضوع. (عبد المعطي،2009 :20)

العلاقة بين النظرية والبحث العلمي: هي علاقة تكاملية فكل بحث يستند إلى أساس نظري، كما تساهم البحوث في فحص النظريات وتأكيدها أو تطويرها. إذن هي علاقة جدلية فالبيانات بدون نظرية موجهة تعتبر فاقدة للمعني، والنظرية بدون بيانات ومعطيات، تعتبر عملا مجردا فلسفيا.

3. شروط النظرية العلمية:

- يجب أن تكون مصطلحاتها ومفاهيمها واضحة ومترابطة ومتكاملة.
- تعبرعن الواقع وقابلة للاختبار والفحص الميداني.
- الموضوعية.
- تخضع للتعديل والتغيير حسب التقدم العلمي (نسبية).
- تفردها في تفسير الحقائق.
- تحمل رؤية لاستشراف مستقبل الظاهرة.

4. **وظائف النظرية**:

للنظرية وظائف أساسية تختلف باختلاف الأدبيات ولكنها في العموم تشترك في ثلاثة وظائف أساسية كالتالي: (ابراهيم عيسى عثمان، 28)

1) تحدد الموضوعات الأساسية للعلم وإبراز الدور المعرفي التراكمي.

2) تحدد الموضوعات ذات الأولوية والموضوعات الغير مدروسة ومستوى التطور المعرفي في هذا التخصص.

3) تساعد الباحث علي تحديد الأبعاد والعلاقات التي يجب دراستها وتمهد له جمع المعطيات وتنظيمها وتصنيفها (وتحديد ارتباطاتها وتداخلاتها).

5. النظرية في علم الاجتماع:

تعددت تعريفات النظرية السوسيولوجية مثلما تنوعت تعريفات علم الاجتماع ذاته، كما ارتبطت عملية تعريف النظرية بكتابات علماء النظرية والمناهج وتصوراتهم حول مدلول النظرية السوسيولوجية. ومن أهم هذه التعريفات نذكر تعريف نيكولا تيماشيف الذي جاء في نهاية الستينات ليشير إلى أنها: "مجموعة من القضايا التي يجب أن تتوافر فيها الشروط التالية:(عبد الرحمن،2006: 61)

1. يجب أن تكون المفاهيم التي تعبر عن القضايا محدّدة بدقة.
2. يجب أن تتسق القضايا الواحدة مع الأخرى.
3. أن توضع في شكل يجعل من الممكن اشتقاق التعميمات القائمة اشتقاقا استنباطيا.
4. أن تكون هذه القضايا مثمرة وتكشف الطريق لملاحظات أبعد مدى وتعميمات تنمي مجال المعرفة.

6. المنهج العلمي في البحث:

بدأ حديثا استخدام المنهج العلمي في بحث ودراسة الظواهر والارتباطات بينها وصياغة الفرضيات وإجراء التجارب لاختبارها، خاصة عند تطبيق سياسات اجتماعية مخطط لها في مجالات العمل التطبيقي التي يقوم بها الإداريون والمصلحون الاجتماعيون.(فرح،2012 : 192).

ثانيا: التصنيف العلمي للنظرية الاجتماعية:

تعتبر عملية تصنيف الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع من القضايا الهامة في توضيح وفهم هذه الأخيرة، وبالتالي تمييزها ومقارنتها من حيث الخصائص والمنهجية والمفاهيم. ويعود سبب هذا التصنيف إلى طبيعة التداخل الشديد بين موضوعات ومجالات علم الاجتماع، وبينه وبين تخصصات أخرى من العلوم الاجتماعية.

حيث يتطلب علم الاجتماع معرفة بالعلوم التالية: علم الاقتصاد، السياسة، علم النفس، التاريخ، الانثروبولوجيا، علم التربية، الرياضيات، علوم الطبيعة (علم الأحياء)، الجغرافيا، اللغات، القانون. مثال: علم الطب له علاقة بعلم النفس، علم الاجتماع، علم الأخلاق، الانثروبولوجيا.

أ) صعوبات التصنيف العلمي:

وجدت محاولات تصنيفية عديدة ولكن لا ترق إلى مستوى أهمية التصنيف العلمي وضرورته للأسباب التالية:

1- افتقاد الأسس العلمية للتصنيف.

2- التداخل الشديد بين بعض الاتجاهات النظرية والمنظرين لها.

3- صعوبة التصنيف في حد ذاته بسبب تشعبه ودقة مخرجاته.

ب) **معايير التصنيف:**

نتيجة لهذا التشعب والثراء المعرفي للنظرية الاجتماعية وتداخلها مع مجالات أخرى، تم إتباع بعض الأسس والمعايير لإجراء هذا التصنيف العلمي بوضوح ودقة.

ج) **أشكال التصنيف العلمي:**

1) التصنيف التاريخي

2) التصنيف وفق المدارس

3) التصنيف الجغرافي

4) التصنيف المنهجي

5) التصنيف الإيديولوجي

6) التصنيف الفلسفي

1) التصنيف التاريخي:

يعرض النظريات ويتتبع نموها من خلال الفترات التاريخية لظهورها، وأول من استخدم هذا التصنيف نذكر تيماشيف في دراسته للنظرية الاجتماعية وهوب هاوس في دراسته لتطور علم الاجتماع، وهذا الصنف يقسم مراحل نمو النظرية الاجتماعية إلي أربعة مراحل:

المرحلة 1: مرحلة الرواد الأوائل: منذ نشأة علم الاجتماع حتى منتصف القرن 19عشر.

تشمل نظريات كونت، سبنسر، ماركس، فيبر وغيرهم.

المرحلة2 : الربع الأخير من القرن 19عشر و تشمل:

ا) النظريات الداروينية الاجتماعية والسيكولوجية

ب) التطورية

ج) التكنولوجية

د) الديمغرافية

ه) المدرسة الاجتماعية

و) النزعة الذاتية الروسية

المرحلة 3: بداية القرن العشرين وتتضمن ثلاثة أقسام فرعية في انقسام النظرية التطورية:

ا) الاجتماعية

ب) السيكولوجية

ج) المثالية

المرحلة4: مرحلة ظهور الصياغات النظرية الكبرى لتفسير الواقع الاجتماعي:

تتسم بمحاولات التقريب بين وجهات النظر المختلفة لتظهر صياغات عديدة من المدارس والاتجاهات الحديثة مثل:

1- الوضعية المحدثة

2- الايكولوجية البشرية

3- الاتجاه الوظيفي

2) التصنيف وفق المدارس:

تبناه سوروكين في مؤلفه "النظريات الاجتماعية المعاصرة" و جاستون بوتول في دراسته " تاريخ علم الاجتماع" وهي كالتالي:

1. المدرسة النفسية
2. المدرسة البيولوجية
3. المدرسة الجغرافية
4. المدرسة الميكانيكية
5. المدرسة الانثروبولوجية.

3) التصنيف الجغرافي:

تبناه كل من غورفيتش وولبرت مور في كتاب "علم الاجتماع القرن العشرين" وبارنز في كتاب "مقدمة في تاريخ علم الاجتماع" ومنها:

ا) المدرسة الفرنسية: كونت، دوركايهم....الخ

ب) المدرسة الألمانية: كارل ماركس، ماكس فيبر...الخ

4) التصنيف المنهجي:

من اهم اصحاب هذا التصنيف "هلموت فاجنر" الذي صنف النظريات إلي ثلاثة وهي:

ا) النظريات الوضعية

ب) النظريات التفسيرية

ج) النظريات التقويمية

5) التصنيف الايديولوجي:

نذكر أهم المحاولات وهي للعالمين "زيتلن" .....رجع بأصول النظريات إلي الأصول الفلسفية لاسيما فلسفة التاريخ وآراء فلاسفة التنوير والاتجاه المحافظ مثل تحليلات. كونت، دوركايم، فيبر وغيرهم.

ذكر "ألفن جولدنر" هذا التصنيف في دراسته" الأزمة المقبلة في علم الاجتماع الغربي"وهي من أبرز التحليلات التي ربطت النظرية الاجتماعية بالبناء الإيديولوجي .

6) التصنيف الفلسفي:

اعتمد علي الأصول الفلسفية كمقياس للتصنيف "دوت مارتنديل" من أبرز علماء الاجتماع الذين طبقوا هذا المعيار حيث صنف النظرية الاجتماعية إلي خمسة أنواع:

1. المدرسة العضوية الوضعية
2. المدرسة الشكلية
3. السلوكية الاجتماعية
4. المدرسة الوظيفية السوسيولوجية

ثالثا: الوضعية التقليدية:

يجب أن نستهل الخوض في النظريات الحديثة في علم الاجتماع بفهم أسسها التقليدية أولا، وما هي الأسباب التي طورت هذا العلم وأثرت حقله النظري الحديث في المقام الثاني.

1. مفهوم الوضعية:

تشتق الكلمة في اللغة اللاتينية من كلمة positif وتعتمد على مبدأين علميين هما: الواقع والاستعمالية ((le reel et l'utilité) و(le verbe poser) وهو فعل مرتبط بحقيقة الأشياء وبعلاقة ملموسة بين الذات والموضوع. (يحياوي،2016: 133)

ويطلق اسم المدرسة الوضعية أو المذهب الوضعي على المذهب الذي أسسه أوغست كونت، وكذلك على الاتجاه الفلسفي العام الذي يعتبر هذا الأخير جزءا منه. وهي بالمعنى العام ذلك الرأي القائل بأنه ما دامت المعرفة الحقيقية كلها مؤسسة على الخبرة الحسية ولا تتقدم إلا بالملاحظة والتجربة، فإنّ المحاولات التأملية أو الميتافيزيقية لاكتساب المعرفة عن طريق العقل غير المحدود بالخبرة لا بد أن يتم التخلي عنها لصالح مناهج العلوم الخاصة. (شروخ، 2005: 135-136).

مفهوم هربرت ماركيوز: " يختص علم الاجتماع الوضعي ببحث الوقائع بدلا من الأوهام المتعالية، وبالمعرفة النافعة بدلا من التأمل العقيم، وباليقين بدلا من الشك والتردد، وبالتنظيم بدلا من السلب والنفي. وفي كل هذه الحالات ينبغي على علم الاجتماع الجديد أن يرتبط بحقائق النظام القائم". (علي غربي،2007: 40)

2. نشأة الوضعية:

2.1: الأسس الفلسفية: تشكلت الوضعية كنسق متميز في تلك المرحلة اللاحقة للفلسفة النقدية السالبة كفكر له موقفه الايجابي من الواقع. لذلك تعرف عادة باسم الفلسفة الايجابية. La « philosophie positive » وللحديث عن النظرية الوضعية في علم الاجتماع يستوجب الأمر الأخذ بعين الاعتبار بعدين أساسيين كالتالي: (غربي،38،2007-39)

- **البعد التاريخي العمودي**: يمثل الجذور والروافد الفكرية للوضعية.
- **البعد الفكري الأفقي**: يمثل الواقع الاجتماعي بجانبيه الفكري والمادي أو الأنساق الفكرية السائدة في تلك الفترة.

تأسست الوضعية أو علم الاجتماع عند كونت كمرحلة لاحقة للفلسفة النقدية السالبة. وتعرف الوضعية بالايجابية لكونها تتخذ موقفا ايجابيا من الواقع الراهن وذلك بعدم محاولة رفضه مثلما يفعل التنويريون، والتحول من نفي الواقع إلى الإيمان به والرغبة في تنظيمه. وهي أيضا وضعية لأنها ترضى بما هو قائم وتحاول تنظيمه على أساس من الإدراك المنظم للعقل الباحث أي بواسطة العلم. وهي نظرية محافظة أي غير ثورية في نظرتها لتغيير المجتمع. (غربي،2007 : 40)

- **فلسفة فرنسيس بيكون:**

يرى هذا العالم أن العلم لابد وأن يقوم على دعامتين وهما الملاحظة والتجربة ولهذا وضع معالم منهجية للوصول إلى إصلاح الفكر بوضع تصنيف للعلوم الموجودة، تقرير المبادئ الأساسية لتفسير الطبيعة، جمع المعطيات التجريبية من المشاهدة، إجراء التجارب، استخدام الاستقراء، تقديم شواهد لنجاح المنهج العلمي الجديد، وضع إثبات بالتعميمات التي يمكن استقراؤها من دراسة الظواهر في الطبيعة، وضع فلسفة شاملة في الطبيعة. (يحياوي،2016 : 100)

إن الاتجاه الوضعي قديم في التفكير الإنساني، حيث يضرب بجذوره التاريخية والفكرية في التاريخ الأوروبي لمرحلة ما قبل الثورة الفرنسية بكثير، ولكنه لم يكتمل كنسق نظري متميز إلا بعدما نشر أوغست كونت كتابه الموسوم: "دروس في الفلسفة الوضعية « cours en philosophie positive » والتي ألقاها على شكل محاضرات على أتباعه وطلبته فيما بين 1842-1880. وبالرغم من أن الوضعية ترتبط إلى حد كبير بهذا العالم، فإن البناء النظري لها يرجع إلى إسهامات كل من سان سيمون في فرنسا، وإسهامات فريديريك شلنغ وشتال في المانيا. (غربي،2007: 37)

2.2: **<u>الأسس السوسيولوجية</u>**: تأسست الفلسفة الوضعية على يد العالم "أوغست كونت" (1798-1857)، الذي كان مفتونا بنشوة المجتمع الصناعي والعقلانية العلمية، وفي سبيل تصور هذا المجتمع الجديد البارز، أراد أن يؤسس علما لما هو اجتماعي، سيدعوه "السوسيولوجيا" SOCIO- LOGIE. حيث ظهرت هذه الكلمة للمرة الأولى عام 1839، وذلك في سياق فقرة من الدرس 47 من "دروس في الفلسفة الوضعية" لأوغست كونت.

كان هذا العالم مرغما على إدخال هذه الكلمة المستحدثة، ففي الحقيقة كان كونت في البداية يرغب بشدة أن يطلق تسمية "الفيزياء الاجتماعية" على العلم المعني بالمجتمع... وهي التسمية التي سبقه إليها العالم كيتلي الذي فكر في تسمية "الفيزياء الاجتماعية" على الدراسة الإحصائية للجماعات البشرية." (كابان، دورتييه،2010 :21)

أ) فلسفة سان سيمون:

لم يكن مقترح سان سيمون في البداية سوى إعادة كتابة الموسوعة ولهذا الغرض جمع من حوله ثلة من العلماء لكنه تخلى عن مشروعه بعد مدة. فابتداءا من سنة 1807 حاول قيادة ثورة علمية ببناء نسق فكري جديد مخلّص من بقايا الدين والميتافيزيقا، وقد حاولت من قبل الفلسفة الحسية عند كوندياك وأتباعه وكذلك الاقتصاد السياسي إحداث القطيعة مع التقاليد العقلانية وتدشين معرفة وضعية حول الإنسان، وبالنتيجة يجب الآن إتمام هذا العمل بعدما دخلت علوم الطبيعة بقسط وافر في المرحلة الوضعية. بينما الأمر ليس كذلك بالنسبة لعلم الإنسان.

ومن هنا حاول سان سيمون البحث عن مماثلة بالنموذج النظري للفيزيولوجيا والعلوم الفيزيائية، وتطوير هذا الاختصاص بمعالجة علمية لظواهر نظام أخلاقي في إطار نسق صناعي. غير أنه تخلى عن مشاريعه الموسوعاتية بعد سقوط الامبراطورية سنة 1815، فأفرزت عودة النظام القديم وضعا متناقضا مع مجتمع يعتمد كلية على الصناعة أو على المنتجين بصفة عامة. (طواهري،2012: 31).

تضمنت مؤلفاته انتقادات حادة للنظام القائم وللنبلاء ورجال الدين مما عرضه للمتابعة القضائية، فتخلى بعدها عن الليبرالية لصالح نسق اجتماعي حيث يعوّض القانونيون القدماء (ميتافيزيقيي السياسة) بالعلماء والفنانين والحرفيين: إنه (النسق الصناعي). وحقق له كتابه الأخير شهرة بعد وفاته. كان معتقد سان سيمون الرامي إلى تحسين وضعية الطبقة الغالبة أي طبقة البروليتاريا وراء ظهور عدة طوبوهات اشتراكية، ولكنه حرك كذلك مبادرات بعض رجال الأعمال المقتنعين بأهمية النظام المصرفي أو شركات سكك الحديد الفتية. فمن فكر ثوري عند السانسيمونيين الأوائل (التنديد بالملكية الخاصة، والاهتمام بمصير البروليتاريا) سيتحول النسق إلى فلسفة مقاولين. (طواهري،2012: 32).

ب) الفكر الوضعي عند أوغست كونت: استفاد أوغست كونت من تكوين متعدد التقنيات وتعليم علمي كلاسيكي، كما كانت له معارف في الطب والفيزيولوجيا، وشارك عن كثب في أعمال سان سيمون فتأثر كثيرا بإصلاحاته الصناعية واستطاع إحداث القطيعة بين المرحلة الميتافيزيقة (القرن18) والمرحلة الوضعية والعلمية (القرن 19). (طواهري،2012: 32).

يرسم الكاتب في مؤلفه لوحة عن الحالة الاجتماعية المتحولة من مجتمع القرون الوسطى المتميز بفكر ديني ونشاط عسكري إلى مجتمع علمي وصناعي، حيث حل العلماء محل رجال الدين، والصناعيون أو المقاولون محل العسكريين، فتركت الحرب المكان للصراع مع الطبيعة، ولكن نظرا لعدم اكتمال هذا الانتقال، أصبح من الضروري التأسيس لإصلاح فكري (نتعرف هنا على مشروع سان سيمون) وعليه يجب أن يؤسس الفكر الوضعي لسياسة وضعية. (طواهري،2012: 33).

ج) دروس في الفلسفة الوضعية: استهل الكاتب (دروس في الفلسفة الوضعية) على شكل دروس عامة ألقاها ابتداءا من 1826 معلنا من الوهلة الأولى عن قانون أساسي كبير وهو قانون الحالات الثلاث الذي يخضع الفكر البشري لضرورة ثابتة في مسيرته التقدمية. مفاد هذا القانون أنّ كل تصور من تصوراتنا الأساسية، وكل فرع من معارفنا يمر بصفة متتالية عبر ثلاث حالات نظرية مختلفة وهي الحالة اللاهوتية أو الغيبية والحالة الميتافيزيقية أو المجردة والحالة العلمية أو الوضعية.

ففي الحالة الأولى يعتبر التفكير البشري الظواهر من فعل كائنات فوق طبيعية غدت قوى مجردة (أسباب) في الحالة الثانية، التي تشكل انتقالا للحالة الثالثة حيث "عن طريق استعمال مركب بصفة جيدة للتفكير والملاحظة، يكشف عن قوانينها الحقيقية بمعنى علاقاتها في التعاقب والمتشابهات غير المتغيرة فيحل البحث عن القوانين محل البحث عن الأسباب".

اهتم كونت بالعمل السياسي والفكر الإصلاحي الاجتماعي، وأدرك نتيجة الثورة الصناعية بأنه يجب الاعتماد على العقل والعلم الوضعي لإصلاح المجتمعات وليس القيم المثالية كالتي نادت بها الثورة نفسها. ويعطي أهمية للعمل والصناعة في تطوير المجتمع، ومن جهة أخرى يرى أنّ التقدم الفكري والعلمي يؤدي إلى التقدم السياسي والاجتماعي. ويقال أنه هو مكتشف العلم الجديد السوسيولوجيا السياسية التي أسماها بداية الفيزيولوجيا الاجتماعية. (يحياوي،2016: 118-119).

وكأنه هنا يحاول تشبيه الأنساق الاجتماعية بالأعضاء البشرية والعلاقات الفيزيولوجية المعتمدة بينها هي نفسها العلاقات المعتمدة بين أنساق المجتمع. (يحياوي،2016: 120)

3. مفاهيم النظرية الوضعية:

1.3: تقسيم المجتمع: قسم كونت علم الاجتماع إلى قسمين أساسيين هما: (خالد حامد،2015: 72).

- السكونية (الستاتيكا) الاجتماعية: تهتم بدراسة النظم والبناء الاجتماعي من ناحية التكوين والدور في المجتمع وقد حدد ثلاث عوامل تربط المجتمع كوحدة استاتيكية وهي: اللغة- الدين- تقسيم العمل.
- الدينامية (الديناميكا) الاجتماعية: تهتم بدراسة تطور وتغيير وعدم ثبات المجتمع.

2.3: قانون الأطوار الثلاث:

لذلك قدم كونت لاحقا قانون الأطوار أو المراحل الثلاث كالتالي:[1]

- اللاهوتية: يغلب الفكر الديني وتسود الاتجاهات العسكرية.
- الميتافيزيقية: تسود الاتجاهات الميتافيزيقية في الفكر الإنساني أي مبادئ وفروض غيبية ويقوم التنظيم على أساس جمعي.
- العلمية (الوضعية): يسود فيها الفكر العلمي واستخدام المنهج العلمي.

3.3: النظام: مفهوم محوري ويعني محاولة تنظيم المجتمع، وكان يرى سان سيمون وكارل ماركس أنّ أزمة النظام تتمثل في حالة الفوضى والاستغلال الواقعي للنظام الصناعي. ويرى كومت أنّ هذه الأزمة توجد على المستوى العقلي ولكي نعيد تنظيم المجتمع يجب إعادة التنظيم العقلي ولتخطي الأزمة يجب تخطي الصراع بين المرحلتين اللاهوتية والميتافيزيقية. (علي غربي،2007: 41).

4.3: التطور العقلي: هو المحور الذي تنتظم حوله الظواهر الاجتماعية لتحقيق التقدم، ولهذا يجب توفر ثلاثة عناصر:

5.3: الوحدة الفكرية: الأفكار هي التي تحدد مصير المجتمع، لذلك يجب الالتفاف حول وحدة فكرية وهي الرجوع للماضي والتقاليد.

[1] انظر قانون المراحل الثلاثة عند أ.كونت: نفس المرجع، ص43.

المزاوجة بين النظام والتقدم: لنفي الصراع المحتدم بين دعاة النظام ودعاة التقدم وجب المزاوجة بينهما في مذهب واحد وهو الوضعية حيث نتبنى النظام ونسير نحو التقدم والتغير باعتباره حالة حتمية نتيجة التطور العقلي. (علي غربي،2007: 42).

6.3: الاتساق العام (consensus): أو الارتباط بين عناصر المجتمع وهو أساس التضامن. ولكن كيف يحدث الاتساق العام والتضامن في مجتمع طبقي متناقض المصالح.

7.3: المسألة الطبقية: الإبقاء على الطبقة السائدة لصالح البرجوازية أي الطبقة الوسطى، وخلق الاتساق العام لمحاربة الفوضى والصراع الطبقي ورفض فكرة الفردانية. فقيمة الفرد تتحقق فقط في إطار اجتماعي (الأسرة، المؤسسة، النظام...الخ) (علي غربي،2007: 44)

8.3: أسس المنهج الوضعي:[2]

يقترح المنهج الوضعي استخدام الطرق الثلاثة المستخدمة في مناهج العلوم الطبيعية وهي (الملاحظة – التجريب – المقارنة) بالإضافة إلى المنهج التاريخي.

[2] الرجوع إلى مقياس التغير الاجتماعي لفهم المنهج الخلدوني في الدراسات الاجتماعية وخطواته المنهجية وهي نفسها عند أوجست كونت بفارق أن ابن خلدون يسبقه بقرون، على الطالب أن يدقق ويقرا قراءة نقدية هذا التشابه في المنهج.

ثالثا: الوضعية المحدثة:

لدراسة النظرية الوضعية المحدثة، يجب على الطالب الإلمام التام بمعارف سابقة عن الوضعية التقليدية.

1. مفهوم الوضعية المحدثة:

هي اتجاه نظري في علم الاجتماع يعود أول استعمال لها كمصطلح إلي نيكولا تيماشيف، وجاء استعمال صفة المحدثة أو الجديدة لتمييزها عن وضعية أوغست كونت (الوضعية التقليدية أو الكلاسيكية). لكنها لم تحظ بنفس الانتشار الواسع الذي حظيت به التقليدية، لذلك انتشر استعمال مصطلح علم الاجتماع الرياضي أو الاتجاه الرياضي في علم الاجتماع كمرادف للوضعية المحدثة.

حيث ظهرت كنتيجة استعمال المنهج التجريبي في دراسة السلوك الإنساني والفعل الاجتماعي وخضوع دراسة الظاهرة الاجتماعية للمنهج الإحصائي التحليلي بكثرة، وعلى أنقاض المذهب التطوري الذي بدأ يتراجع آنذاك. (التغير الاجتماعي بدل التطور الاجتماعي، OGBURN,1922) (علي غربي،2007: 48-49)

2. روافد الوضعية المحدثة:

تشكلت الوضعية المحدثة من خلال الجمع بين منطلقات نظرية عديدة نذكرها فيما يلي:

1.2: النزعة الكمية: وهي تعتمد علي منهج العد والقياس في الدراسة، ظهرت في الربع الأول من القرن 19 وشكلت دراسات **كيتليه** Quetelet (1796-1874) في البيولوجيا أهمها، وهو أول من استعمل الإحصاء لفهم الظواهر الاجتماعية. وبالنسبة له نصل إلى الكمال العلمي بالسهولة في استعمال الرياضيات وأصبحت هذه العبارة من مبادئ الوضعية المحدثة.

- دراسات فرانسيس غالتون (1822-1911): تميزت دراساته بالطابع الإحصائي: دراسة العبقرية الوراثية، رجال العلم الانكليز.
- إسهامات كارل بيرسون: 1857-1936: في دراسته "قواعد العلم"1892 والتي أصبحت مرجعا لهده النظرية.

2.2: النزعة السلوكية: ترجع إلي عالم النفس الروسي ايفان بافلوف (1849-1936):

فبالنسبة له لا يمكن معرفة الشعور موضوعيا ما لم يتم قياسه كميا، وحسب رأيه وجب الابتعاد عن دراسة الجوانب الشعورية الاستبطانية واقتصار علم الاجتماع وعلم النفس على دراسة السلوك الملاحظ وقياسه من خلال التجربة العلمية. (علي غربي،2007: 49-50)

3.2: الابستيمولوجيا الوضعية: تستمد جذورها من الفلسفة الأمريكية البراغماتية كما يسميها جون ديوي (المذهب العلمي) من روادها: ويليام جيمس (1829-1978)، جون ديوي (1859-1952)، برتراند راسل (1872-1970). ولكن أهمهم "كارل بيرسون" الذي يحصر المعرفة في الانطباعات الحسية وما تؤدي إليه من نتائج وهذه التجارب حسب رأيه هي التي توصلنا إلي القوانين. (علي غربي،2007: 50)

4.2: التحقق والاجرائية: يعتمد استخدام الطرق الكمية عند الوضعيين الجدد على مبدأين أساسين هما التحقق والإجرائية:

أ) **مبدأ التحقق:** (صاغه العالم شليك مع زميل له) وهو وسيلة لاختيار صدق أو كذب الفرضيات عن طريق عدد محدد من الأحكام والملاحظات المدعمة بالأرقام.

ب) **مبدأ الإجرائية**: استعمل هذا الاصطلاح لأول مرة من طرف الباحث الفيزيائي الأمريكي(بريدجمان) الذي يري أن كل المعرفة ترجع إلي مجموعة الإجراءات التي يقوم بها الإنسان خلال حياته. ويقول:"عموما نحن حينما نستخدم مفهوما ما، فإننا لا نعني أكثر من مجموعة من الإجراءات". كذلك اهتم العالم **"لاندبرغ"** بمفهوم الإجرائية في علم الاجتماع، لكن اعتبره كبديل للتحليل الكيفي وليس مكملا له**.** اهتم العالم **لازارسفيلد** بالمفهوم واعترف بقسمين من السوسيولوجيا (المنهج الكيفي) و(المنهج الكمي). ويدعو إلي استخدام الصيغ الرياضية في التحاليل الكمية. (علي غربي،2007: 51-52).

ج) **النقد الموجه للاجرائية فى علم الاجتماع الرياضى:** ينتقد عالم الاجتماع التجريبي سوروكين هذه المبالغة في الأسلوب الكمي ويعيد التأكيد على أهمية الأفكار والمنطلق النظري. يقدم نقدا صريحا للإجرائية ويقول بعدم إمكانية استخدامها مع فكرة التكامل في العلوم النفسية والاجتماعية. فالتجارب هامة لأجل تأكيد أفكار معينة لذلك يجب الانطلاق من أسس نظرية. (علي غربي،2007: 53-54).

4. روّاد الوضعية المحدثة:

1.4: فرانلكين غيدنز: F. GIDDINGS هو خير من يمثل الوضعية المحدثة بجميع تفرعاتها، حيث تعامل مع عناصرها الثلاثة وخاصة النزعة الكمية وبعض جوانب النزعة السلوكية معتمدا علي المنهج الإحصائي. (علي غربي،2007: 55).

2.4: لاندبرغ:(1895-1966): يعتقد أن العلم (طبيعيا أو اجتماعيا) هو وسيلة للتوافق وبناءا على ذلك فان موضوع العلوم الاجتماعية هو حركات الناس أي سلوكهم التي تحدد مواضعهم داخل المواقف الاجتماعية. وهو إلى جانب ذلك يناقش قضايا التفاعل والاتصال الاجتماعيين في ضوء مفهوم الحركة (حركة الذرات) أو السلوك. ويرفض استعمال الاصطلاحات التقليدية كالشعور والأهداف والقيم والدوافع...الخ. ويؤكد علي ضرورة استخدام التعريفات الإجرائية، فالظواهر الاجتماعية هي فقط تلك التي يمكن قياسها كالمساحة التي تقاس بالمتر والذكاء باختبارات الذكاء. (علي غربي،2007: 55).

3.4: أوغبرن: يعتبر كتابه "التغير الاجتماعي" إسهامه الأساسي في النظرية الاجتماعية وقد استبدل مصطلح التطور الاجتماعي (1923) بالتغير الاجتماعي، وذلك إسهاما منه في التغلب على النزعة التطورية السيكولوجية التي كانت مؤثرة في تلك الفترة. (علي غربي،2007: 57).

4.4: ستيوارت شابين: من الوضعيتين المحدثين المعتدلين، له مؤلف بعنوان "النظم الأمريكية المعاصرة 1935" حيث يطرح سؤالا كالتالي: (علي غربي،2007: 58).

كيف يمكننا تحديد معنى النظم الاجتماعية بطريقة تختلف عن الفهم العام لها؟ لذلك اعتبرها مجرد أنماط من السلوك البشري؟ أو شبكة من الاستجابات الشرطية والعادات الفردية والاتجاهات. ويعتبر الرسوم البيانية الرمزية وسيلة من وسائل تحديد النظم، وبالنسبة له يجب أن تخضع العلاقات في شكل (الأنماط) للقياس والوسيلة المعتمدة في ذلك هي البيانات.

5. النقد الموجه للنظرية الوضعية المحدثة:

لم تفلح النظرية الوضعية الحديثة كبعد نظري في تحقيق الكفاءة كغيرها من النظريات الأخرى. (علي غربي،2007: 59).

رابعا: النظرية الوظيفية التقليدية:

1. تمهيد:

كان لماركس (1818-1883) ودوركايم (1858-1917) وفيبر(1864-1920) تأثيرا مهما ومستمرا على علم الاجتماع، وتعكس هذه الاستمرارية أمرين: أنهم حددوا المسائل العامة التي مازال يثيرها علماء الاجتماع المعاصرون. وأن المنظورات السوسيولوجية التي أسسها هؤلاء الرواد، لم تستبدل كليا رغم ما طرأ عليها من تعديل وتطوير. ففي ظل الإرهاصات الاجتماعية التي عايشوها عكسوا روح عصرهم، وآمنوا بالعلم إيمانا قاطعا، استفزهم في ذلك المنظور التطوري الداروينى لتفسير أصل الإنسانية تفسيرا علميا بيولوجيا محضا. وجعلتهم يقتبسون النهج العلمي المشابه لدراسة الحياة الاجتماعية. ولكنهم كانوا على وعي تام بأن الوعي والإبداع عند الإنسان يثيران قضايا مهمة نجدها في العلوم الإنسانية فقط. (خلف،2009: 59-61)

يختص علم الاجتماع البنائي بصفة أساسية بكيفية تأثير المجتمع في السلوك الفردي والجماعي بدلا من كيفية تأسيس المجتمع بواسطة الأفراد والجماعات. شهد علم الاجتماع إنتاج ثلاثة منظورات سوسيولوجية بنائية وهي: الوظيفية، الماركسية، نظرية الفعل الاجتماعي لفيبر. فمثلا يهتم بكيفية تأثير طبقة الفرد وعائلته أي الوضع الاجتماعي البنائي للفرد على احتمالات نجاحه في المدرسة أو حصوله على وظيفة جيدة. (خلف،2009: 62)

2. نشأة الاتجاه البنائي- الوظيفي:

إن وجود تباينات داخل الوظيفية وبروز مجتمع ما بعد الحداثة جعلا من الوظيفية (بفرضياتها ومناهجها) غير قادرة على مواكبة المستجدات. مما عرّضها لانتقادات فظهرت بدائل نظرية لها أهمها الوظيفية الجديدة. وتعود بدايتها إلى عالم الاجتماع الأمريكي روبرت مرتون Robert Merton الذي أدخل تعديلات عليها وأثراها بالمفاهيم المتداولة بين الوظيفيين، وكان أيضا ناقدا لها ليجعلها أكثر مرونة وواقعية.

كما أثرت أعمال مالينوفسكي في كل من رادكليف براون (1881-1955) Radcliffe Brown وتالكوت بارسونز Talcott Parsons اللذين أدخلا مفهوم البنية على مفهوم الوظيفة، وعرفا بأصحاب الاتجاه البنائي-الوظيفي.

أثرت هذه الأعمال كغيرها في علم الاجتماع الأمريكي، وبخاصة بين تلاميذ بارسونز وأتباعه، وأدى ذلك إلى ما يعرف اليوم باسم المدرسة الوظيفية في علم الاجتماع. ويستخدم أنصار الاتجاه البنائي-الوظيفي مصطلح «التحليل البنائي-الوظيفي» الذي يهتم بدراسة علاقات الارتباط بين المؤسسات الاجتماعية والنشاط الذي تؤديه تلك المؤسسات في البناء الاجتماعي.

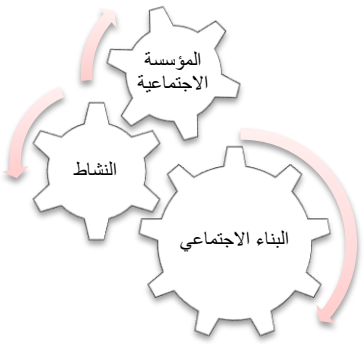

ويستخدم الوظيفيون مفهوم التوازن الذي يعد أحد المفاهيم المحورية في المدرسة الوظيفية، فمعظم الوظيفيين يكتفون بالإشارة إلى أن بقاء النسق واستمراره دليل على توازنه، وأن توازنه دليل على حفاظ النسق على بقائه واستمراره.

3. مفهوم الوظيفية:

تعتبر الوظيفية من أهم الاتجاهات السائدة في علم الاجتماع، والتي حظيت بتسميات عديدة أهمها: الوظيفية، البنيوية، البنيوية الوظيفية، الاتجاه الوظيفي، التحليل البنائي الوظيفي. حيث تكشف لنا هذه التسميات عن التراث العلمي لهذا الاتجاه والمحاولات التنظيرية العديدة لمختلف علماء الاجتماع، ومع هذا يشيع استعمال الاصطلاحين التاليين: البنيوية الوظيفية والوظيفية. علي غربي ويفترض هذا الاتجاه أنّ المجتمع نسق يتألف من مجموعة نظم اجتماعية وأنماط محددة للثقافة. (علي محمد،2013: 320).

4. مفاهيم الاتجاه الوظيفي:

1.4: مفهوم بنائية الإجماع: ترمز الوظيفية إلى بنائية الإجماع لأنها تؤكد على الدور المحوري الذي يلعبه الإجماع بين الناس على القيم الأخلاقية في المحافظة على النظام الاجتماعي. في حين تؤكد الماركسية ونظرية الفعل الاجتماعي على الصراع في المجتمع. ومن الملامح المميزة للنظريات البنائية أنها تسعى إلى التفسيرات العلمية أو الوضعية للسلوك الاجتماعي. (خلف،2009: 63)

2.4: مفهوم الوظيفة: لم يأخذ مصطلح وظيفة مضامينه ومواصفاته التي عرفها إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر خاصة بعد التطور الذي أحرزه علم الأحياء على يد دارون وقد تطور مصطلح الوظيفة ومفهومه في الفلسفة وعلم الاجتماع من خلال النظرة للمجتمع؛ إذ نُظر إلى المجتمع على أنه نسق طبيعي بوصفه كائناً عضوياً طبيعياً، ونظر إلى علم الاجتماع على أنه علم وظيفي بشكل ما، جوهره التحليل الوظيفي وربط الجزء بالكل، وقد توفر عند جميع علماء الاجتماع دراسة المجتمع وتحليله، باختلاف نوازعهم من مونتي إلى مونتسكيو وصولاً إلى علماء الأنثروبولوجيا. (ملحم أبو حمدان،2017)

لم يأخذ مصطلح وظيفة مضامينه ومواصفاته التي عرفها إلا في الربع الأخير من القرن التاسع عشر خاصة بعد التطور الذي أحرزه علم الأحياء على يد دارون وقد تطور مصطلح الوظيفة ومفهومه في الفلسفة وعلم الاجتماع من خلال النظرة للمجتمع؛ إذ نُظر إلى المجتمع على أنه نسق طبيعي بوصفه كائناً عضوياً طبيعياً، ونظر إلى علم الاجتماع على أنه علم وظيفي بشكل ما، جوهره التحليل الوظيفي وربط الجزء بالكل، وقد توفر عند جميع علماء الاجتماع دراسة المجتمع وتحليله، باختلاف نوازعهم من مونتي إلى مونتسكيو وصولاً إلى علماء الأنثروبولوجيا.

وتوجد معاني عديدة لهذا المصطلح نظرا لاستعماله في مجالات عديدة، لذلك نحصر أهم المعاني التي تم الإجماع عليها في أربعة كالتالي:

ب) المكانة أو الموقع أو المهنة: statut et position et profession

هذا المعنى يشير إلى تحقيق تأدية وظيفة داخل مؤسسة صناعية أو خدماتية أو أي تنظيم بيروقراطي، وهذا ما نقصده حين نقول الترقية في الوظيفة. (علي غربي،2007: 77)

ت) المهام والمسؤوليات: devoirs et missions

ترتبط بالمفهوم السابق وتعني المسؤوليات أو المهام التي ينجزها شاغل وظيفة حسب ما يفرضه السلم التنظيمي.

ث) المعنى الرياضي للوظيفة: ونقصد به العلاقة بين عاملين أو أكثر بحيث يؤثر تغير إحداها في الأخرى ويستلزم إعادة تكيفها. وتعتبر دراسة دوركايهم عن الانتحار مثال جيد للتحليل الوظيفي بهذا المعنى، حيث اعتبر الانتحار ظاهرة اجتماعية مرضية تعتمد وظيفيا بعدة متغيرات كدرجة تكامل الجماعات. وبالتالي يعبر هذا المعنى عن قياس

درجة الترابط بين المتغيرات التابعة والمستقلة التي تقوم بتفسير التابعة. (علي غربي،2007: 77)

وفي علم الاجتماع نجد العديد من المتغيرات المستقلة المؤثرة والمفسرة ولكن تختلف من حيث درجة التأثير وفق درجة تعقد الظاهرة الاجتماعية. غربي وهذا المعنى يستعمله العالم سوروكين أيضا وباعتبار الكل هو المجتمع أو الثقافة. (علي محمد،2013: 320).

د) المفهوم البيولوجي للوظيفة: يشير مفهوم الوظيفة بهذا المعنى إلى الدور الذي يلعبه الجزء في بناء الكل. وهذا وفق مفهوم المماثلة العضوية. (علي غربي،2007: 78)

3.4: مفهوم النظم الاجتماعية: تخضع النظم الاجتماعية لتنظيم محدد وتظهر أنماط الفعل الاجتماعية في شكل خاص بها، وتضرب بجذورها في الحاجات والمصالح الإنسانية وترتكز على عواطف قوية وتجسد القيم الاجتماعية. (علي محمد،2013: 320).

4.4: مفهوم الثقافة: هي الجهاز المادي والعقلي والروحي الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالنظم الاجتماعية، وترتبط أنماط الثقافة بالصياغة النظامية للمجتمع. بحيث يمكن تحليل البناء الاجتماعي للمجتمع في ضوء المضمون النظامي الثقافي للمجتمع ككل.

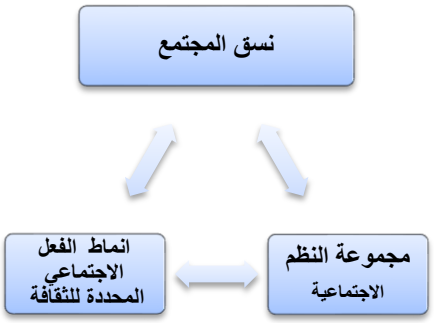

حيث يتكون نسق المجتمع من أنماط للفعل الاجتماعي وهي التي الثقافة وتعتمد على المصالح الإنسانية والعواطف القوية وتتجسد من خلال القيم الاجتماعية. ومجموعة النظم الاجتماعية (الاقتصاد، الدين، الأسرة..الخ) والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالثقافة فينتج ما يسمى بالمضمون النظامي الثقافي وهو الذي يشكل البناء الاجتماعي والذي يعبر عن علاقات معقدة ومترابطة وادوار اجتماعية.

ويهتم التحليل الوظيفي بدراسة الظواهر الاجتماعية (أنساق القرابة، الطبقة) كعمليات وآثار لهذا البناء الاجتماعي. (علي محمد،2013: 321).

أما التحليل البنائي الوظيفي فيهتم بتحليل أدوار الأفراد كجزء في الكل وذلك من خلال سؤالين:

- ✓ ما هي الوظائف التي تؤديها أدوار الأفراد؟
- ✓ ما هو الدور الوظيفي الذي يلعبه النظام في البناء الاجتماعي؟ أي آثار ونتائج النظم.

5.4: **مفهوم النسق:** هو مجموعة وحدات وظيفية تؤثر في بعضها البعض وهي على درجة من العلائقية relatedness والارتباط والتساند. فقد طور مونتسكيو فكرة النسق وحدد لها معنى علمياً في كتابه «روح الشرائع»، حيث وضع ما يسمى في علم الاجتماع بـ «نظرية النسق الاجتماعي الكلي» بناءً على ارتباط أجزاء المجتمع ارتباطاً وظيفياً، وقد ميّز بين «طبيعة المجتمع»؛ أي بنائه الاجتماعي وبين «مبدأ المجتمع» الذي يمثل مجموعة القيم التي تتفاعل وتتوظف في البناء الاجتماعي.

وتشكل فكرة «النسق الاجتماعي الكلي» القاعدة الأساسية في بحوث التوازن الاجتماعي عند أوغست كونت؛ حيث يرى أن الوقائع الاجتماعية تنقسم إلى مجموعات (سياسية، اقتصادية، دينية، خلقية وتشريعية) تقوم فيما بينها علاقات وظيفية معينة، وأي تغيّر يصيب إحدى هذه المجموعات يؤدي إلى تغيّر مناسب في المجموعات الأخرى؛ بمعنى آخر هناك نوع من التساند والتناظر والاعتماد المتبادل بين مجموعات الوقائع الاجتماعية والنظم الاجتماعية. (علي محمد،2013: 321).

6.4: **مفهوم التكامل:** هو الحد الأدنى الذي يتطلبه أي نسق من المتطلبات الوظيفية اللازمة لاستمراره. (المتطلبات هي الحاجات الشخصية والاجتماعية). ويفسر مالينوفسكي الحاجات من خلال دراسة الثقافة والتنظيم الاجتماعي ويقول: تكمن خلف كل نسق اجتماعي إنساني مجموعة من الحاجات الشخصية الأساسية. (علي محمد،2013: 323).

7.4: **نسق القيم:** هي القيم التي يتبناها المشاركون في النسق الاجتماعي وهي المسؤولة عن التوازن والوحدة وتمنح الفعل الاجتماعي شكلا ومعنى. (علي محمد،2013: 320).

8.4: **مفهوم التوازن:** يستخدم الوظيفيون مفهوم التوازن الذي يعد أحد المفاهيم المحورية في المدرسة الوظيفية، فمعظم الوظيفيين يكتفون بالإشارة إلى أن بقاء النسق واستمراره دليل على توازنه، وأن توازنه دليل على حفاظ النسق على بقائه واستمراره.

9.4: **المماثلة البيولوجية**: وقد تمّت صياغة فرضيات الوظيفية الأولى في خضم الهيمنة التطورية حيث أثرت إسهامات دارون تأثيراً عميقاً في التصورات الوظيفية لعالم الاجتماع الإنكليزي هربرت سبنسرHerbert Spencer (1820-1903) الذي شبه المجتمع بالكائن العضوي من حيث البناء والوظيفة. فللمجتمع غطاء جلدي يحميه من المؤثرات الخارجية هو الجيش، ونظام للأوعية الدموية هي طرق المواصلات ووسائل الاتصال، أما النسغ الغذائية في الكائن الحي فتقابلها دورة البضائع في المجتمع، ويمثل الرأسماليون الجهاز العصبي الذي ينظم ويدير عملية الإنتاج. وفي كتابه «مبادئ علم الاجتماع» أكد سبنسر فكرة الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها أجزاء الكائن الاجتماعي التي تترابط مع بعضها بعضاً، وتُكوّن ما يسمى بالتعايش الاجتماعي. (ملحم أبو حمدان،2017).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن اصطلاح «وظيفة» و«وظيفي» يتضمنان في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا معاني مختلفة ومتباعدة، فقد يُستخدم اصطلاح الوظيفة في بعض الأحيان بمعنى رياضي ليشير إلى أن مقدار أهمية متغير ما تحدد بدورها مقدار أهمية متغير آخر، وقد يستخدم مصطلح وظيفة كما في البيولوجيا فيعني نشاط عضو أو جملة أعضاء للمحافظة على الكائن الحي، وقد يُستخدم هذا المصطلح ليشير إلى الإسهامات التي تقدمها الجماعة إلى أعضائها، أو التي يقدمها المجتمع الكبير للجماعات الصغيرة التي يضمّها.

وفي بعض الأحيان يستخدم الوظيفيون مصطلح التحليل الوظيفي للإشارة إلى دراسة الظواهر الاجتماعية على أساس أنها: عمليات أو آثار لبناءات اجتماعية معينة مثل أنساق القرابة وغيرها. ويهتم التحليل الوظيفي من وجهة نظر مالينوفسكي بمعرفة الدور الذي تؤديه الوقائع الجزئية داخل النسق العام، والكيفية التي ترتبط بها هذه الأجزاء مع بعضها البعض داخل هذا النسق، وأخيراً معرفة الكيفية التي يرتبط بها النسق العام بما يحيط به من العالم المادي. (ملحم أبو حمدان،2017)

5. **المنهج الوظيفي:**

اتبع التحليل البنائي الوظيفي من أجل تطوير أدوات وأساليب نظرية ومنهجية من قبل العديد من علماء الاجتماع والانتروبولوجيا تتلاءم وتتماشى ودراسة الصور المختلفة للترابطات الاجتماعية والتفاعل بين السمات والنظم والجماعات وما إلى ذلك، داخل النسق الاجتماعي الكلي من اجل استمراره وبقائه على خلاف ما كان سائدا من قبل. وهو مصطلح

يستعمل لدراسة الظواهر الاجتماعية باعتبارها آثار لبناءات اجتماعية معينة مثل انساق القرابة أو الطبقة. أما التحليل البنائي الوظيفي فهو الشائع عند العالم بارسونز. (علي محمد،2013: 320).

6. رواد الوظيفية التقليدية:

1.6: إميل دوركهايم (1858-1917):

يعد الأب الشرعي للوظيفية في علم الاجتماع، فهو يستخدم مصطلح «الوظيفية» بمعنيين مختلفين: الأول يشير إلى وجود نسق من الحركات الحيوية الضرورية لحياة الكائن العضوي، أما الثاني فيعبر عن العلاقة التي تربط بين تلك الحركات الحيوية وبين حاجات الكائن العضوي، فيتكلم مثلاً عن «وظيفة الهضم» و«وظيفة التنفس». ينتمي دوركايم إلى الاتجاه المحافظ لأنه يبحث عن تحقيق التكامل والاستقرار ويتفادى الصراع. انحاز دوركايم للواقع الفكري والاجتماعي للبرجوازية حسب منتقديه. وهو يؤكد على أهمية التساند الوظيفي بين النظم الاجتماعية واستقلالها عن العواطف والاتجاهات الشخصية. مثال: يشبه النظام القانوني في المجتمع بوظيفة الجهاز العصبي للكائن الحي.

أ) **عناصر الفكر الوظيفي الدوركايمي:**

هو فكر ضد النزعة الفردية ويؤكد على البيئة الاجتماعية وأسبقية المجتمع على الفرد وعدم إمكانية هدم المجتمع. (يعارض كونت في نفي الدين من الحياة الاجتماعية). دراسة الدين بطريقة علمية. تعتبر هذه العناصر بمثابة بوادر الاتجاه الوظيفي الذي بدأ يشق طريقه بثبات. (خلف،2009: 61)

1. الطابع المحافظ لتصور المجتمع عكس فكر التنوير.
2. اعتماد الفرد سيكولوجيا وأخلاقيا على المجتمع (الخضوع للقوانين الاجتماعية).
3. تأثره بالانثروبولوجيا الانجليزية.
4. الدور الهام للقيم الروحية والدينية في المجتمع.
5. الدين يقوم بوظيفة حفظ المقدسات الاجتماعية.
6. لا يفصل فكرة الالوهية عن المجتمع وهي فكرة معاكسة للعلمانية.
7. فكرة الالوهية تستلزم الروح الجمعية (الضمير الجمعي).
8. المجتمع هو السلطة الأخلاقية العليا (القواعد والالتزامات).
9. تؤدي النظم الاجتماعية عند دوركايم وظائف عضوية في المجتمع وهي موجودة قبل وجود الأفراد (الدين،الأسرة، الطبقات، الدولة...الخ)
10. وهو يرى أنه لا يمكن هدم المجتمع وبنائه من جديد.

ب) تقسيم دوركايم للمجتمع:

1. المجتمع الآلي الميكانيكي: التضامن ميكانيكي. يتصف بظهور العقل الجمعي ولا يوجد تمايز في وظائف الناس (العرف ينظم روابط القرابة والصداقة والجوار) وهو خاص بالمجتمعات البدائية أو المتخلفة.
2. مجتمع يسوده التماسك العضوي ويظهر فيه التخصص وتقسيم العمل (القانون يحافظ على النظام الاجتماعي)
3. يسود المجتمع المعقد أو الحديث.

هنالك بعض الأسئلة التي حاول دوركهايم التطرق لها وهي: (خلف،2009: 63)

- مم يتكون المجتمع؟ يتكون المجتمع عند دوركايهم من نظم متعددة والنظام الاجتماعي هو جماعة من الناس تنتظم حول هدف أو أهداف محددة، ويمكن تقسيم النظم إلى أربعة انساق فرعية:

- النسق الفرعي الاقتصادي (المصانع، الإدارات...)
- النسق الفرعي السياسي (الأحزاب السياسية...)
- النسق الفرعي القرابي (الأسرة...)
- النسق الثقافية (المدارس، دور العبادة...)
- النسق الاجتماعي.

- كيف يقوم المجتمع بأداء وظائفه؟ يرى الوظيفيون أن المجتمع يعمل بطريقة مماثلة لقيام الكائن الحي بوظائفه، ويشار إلى هذه المقارنة بالمماثلة البيولوجية (l'analogie biologique)

- لماذا تكون بعض الجماعات في المجتمع أكثر قوة من جماعات أخرى؟ يقول الوظيفيون بضرورة أن يكون بعض الأفراد والجماعات أكثر قوة من غيرهم لاتخاذ القرارات المهمة، وبالتالي ضرورة وجود قادة في التنظيمات وفي المجتمع.

- ما الذي يسبب التغير الاجتماعي؟ يعتبر التغير الاجتماعي عند الوظيفيين ضرورة فقط، ولذلك يرتبط عندهم بالتكيف والتكامل. فعندما يتعرض النسق لعوامل دخيلة أو جديدة وجب عليه التكيف معها، وعندما يصبح هذا العامل جزءا من النظام يحدث التكامل؛ وبالتالي يعتبر التغير الوظيفي تطوري وتدريجي وليس صراعي أو ثوري.

- هل المجتمع بطبيعته في حالة توازن أم صراع؟ يعتبر الوظيفيون أنّ توازن النظام أمر طبيعي في المجتمع، أما الصراع فيعتبرونه كالمرض في الكائنات الحية، وأساس التوازن الاجتماعي عندهم وجود إجماع أخلاقي حول القيم الاجتماعية.

- ما علاقة الفرد بالمجتمع؟ يرى دوركايهم أن الفرد ليس موضوعا جوهريا في علم الاجتماع، بل المجتمع هو الأهم، حيث يخضع أفراده لتنشئة مؤسساته.

- ما هو الهدف الأساسي من وراء دراسة علم الاجتماع؟ الغرض عند الوظيفيين من دراسة المجتمع هو تحليل وتفسير قيام المجتمع بأداء وظائفه بشكل طبيعي أو غير

طبيعي. ولأجل ذلك يجب دراسة العلاقة بين مختلف أجزاء المجتمع وعلاقتها بالكل. (خلف،2009: 64)

2.6: مالينوفسكي:(1884-1942): الحاجات، النظم والثقافة:

أول من طالب بضرورة وجود مدرسة وظيفية مستقلة في مواجهة النزعة التطورية. حيث يرى أنّ المنهج المقارن لا يعتمد على الوصف البسيط للمجتمعات البدائية وإنما يجب صياغة التعميمات والتحقق من صحتها. وعن طريق المقارنة نفهم الخصائص الأساسية للنظم والارتباطات بينها والنماذج الأساسية للتنظيم الاجتماعي والتحقق من صحة القضايا والفروض الخاصة بهذه النظم.

أ) **التحليل البنائي الوظيفي:** يسير جنبا إلى جنب مع المنهج المقارن في دراسة الظواهر الثقافية والاجتماعية. ويرى أنّ عملية التطور الاجتماعي هي عملية تباين بنائي وظيفي مما يزيد تخصص النظم الاجتماعية. يتفق مع دوركايهم في رفض النزعة السيكولوجية في تفسير النظم والظواهر الاجتماعية. ويقول أنّ النظرية الوظيفية هي المطلب الأول للبحث الحقلي وللتحليل المقارن للظواهر في مختلف الثقافات.

ب) **نظرية الثقافة**: في كتابه "النظرية العلمية للثقافة 1944" يؤكد أنّ الانثروبولوجيا الثقافية هي علم اجتماعي يستهدف التعميم وهنالك مسلمتان في نظرية الثقافة:

1. يجب أن تشبع كل ثقافة الحاجات البيولوجية للإنسان وبالتالي تضمن الاستقرار والنمو والتقدم.
2. الانجاز الثقافي ما هو إلا تدعيم إلى وتلقائي للفيزيولوجيا البشرية.

ويقول انه يمكن الربط وظيفيا بين الاستجابات الثقافية المختلفة والحاجات البيولوجية. وهذا مدخل لفهم التراكم الثقافي فالنسق الثقافي هو انجاز لأكبر النشاطات الإنسانية وأكثرها إبداعا في صلته بالطبيعة. وهي تنشأ عن الأنشطة الموجهة أساسا نحو إشباع الحاجات البيولوجية الأساسية وهي الحاجات التي تحفزه للعمل. ويظم النظام عند مالينوفسكي ستة عناصر:

1. الميثاق
2. العاملون
3. القواعد والمعايير

4. الجهاز المادي
5. الأنشطة
6. الوظائف

3.6: رادكليف براون: نحو علم طبيعي:

يتساءل ما هو موضوع علم الاجتماع؟ ويجيب أنه الدراسة النظرية المقارنة لأشكال الحياة الاجتماعية (دفن الموتى، تقاليد الزواج، أنماط تبادل السلع...)

الدراسة الوظيفية لهذه الأشكال يعني دراستها وهي في حالة تساند واعتماد متبادل داخل نسق من العلاقات تكون هي جزء منه.

فهم الجزء في سياق الكل: لا يمكن فهم تقاليد الزواج او تقاليد دفن الموتى خارج نسق العلاقات الاجتماعية (النسق الكلي).

يقول براون: يمكن فهم المجتمع إذا بحثنا منهجيا التساند بين عناصر الحياة الاجتماعية.

يتبنى تقسيم اوغست كونت للاستاتيكا (طبيعة الأنساق الاجتماعية) والديناميكا (تباين حالة الأنساق في العالم وفي أنماط النظام والتغير). ومن هنا نستنتج أن بحوث الاستاتيكا توجه بحوث الديناميكا.

تبنى المنظور التطوري عند هربرت سبنسر وقد فرق بين ثلاثة عمليات توافقية رئيسية:

1. الايكولوجيا
2. النظامية
3. الثقافة

وهو يعرف النظم في ضوء المعايير والقيم، أي أنها تكمن في جوهر عملية التأسيس النظامي.

ويفرق بين:

منظمات النشاط: بناء داخلي للأدوار

العلاقات النظامية: بناء الأوضاع والمكانات.

4.6: اسهامات تالكوت بارسونز (1902-1979): لعب بارسونز دورا مهما في علم الاجتماع الأمريكي خلال 40 سنة وله مكانة خاصة ومرموقة بين علمائه. فقد كانت النزعة الامبريقية مسيطرة على هذا العلم في أمريكا إلى أن جاء بارسونز بثورة نظرية من خلال

تطوير إطار نظري تصوري من أجل أن يحتل مكانة علمية حقيقية وان يربطه ربطا منطقيا بالعلوم الأخرى. وهو من أكثر المنظرين تجريدا بين علماء الاجتماع المعاصرين.

قوبلت أعماله بالنقد والإدانة والهجوم لأنه اتجه عكس التيار السائد آنذاك في علم الاجتماع الأمريكي. اعتبر بارسونز المجتمع الأمريكي معملا لأبحاثه وأثر في أجيال عديدة من علماء الاجتماع الأمريكيين، ونجح في تأسيس مدرسة فكرية، منهم نذكر روبرت مرتون، روبن ويليامز، نيل سميلسر، ادوارد شيلز وآخرون. (الجوهري، 296)

أ) **المناخ الاجتماعي الأكاديمي السائد:** هو المناخ والمراحل التي تطورت فيها أعمال بارسونز. حيث درس في مدرسة لندن للاقتصاد على يد هوبهاوس، مالينوفسكي وآخرون، ثم التحق بجامعة هايدلبرج في ألمانيا، وتحت تأثير أعمال ماكس فيبر تأكد لبارسونز ارتباطه بالعلوم الاجتماعية. (رغم وفاة ماكس فيبر 5 سنوات قبل وصول هذا الأخير) حيث كان يحضر الصالون الثقافي الذي عقدته أرملته مساء كل أحد.

وحسب رأيه تحتوي أعمال ماكس فيبر على عناصر الإطار التحليلي كالتفسير للدور التاريخي للمذهب البروتستانتي ومقارنته مع الأديان، تفسير الرأسمالية المعاصرة وهذا ما كان يفتقر إليه علم الاجتماع.

ثم تنبه إلى تعقد العلاقات بين الأبنية الاقتصادية والأبنية الاجتماعية السياسية، ومن هنا ساعدته قراءته لماكس فيبر للاهتمام بتفسير النظم الاقتصادية. ولهذا اختار في رسالة الدوكتوراة إجراء تحليل مقارن عن فكرة الرأسمالية كنظام اقتصادي اجتماعي في كتابات كارل ماركس وزمبارتي وماكس فيبر. عمل في جامعة هارفارد واهتم بالاقتصاد والتحق بقسم علم الاجتماع الذي أنشأه سوروكين. (الجوهري،298)

ب) تطور أعمال بارسونز:

المرحلة الأولى: جمع الموضوعات الأساسية لتشكيل نظرية الفعل الاجتماعي من أعمال ماكس فيبر ودوركهايم وباريتو.

المرحلة الثانية: طوّر نظرية الفعل لتصبح نظرية عامة للسلوك البشري.

المرحلة الثالثة: حاول تطبيق هذه النظرية على مختلف العلوم الاجتماعية، علم الاقتصاد، علم النفس وعلم السياسة واستعان هنا بأعمال كونت وسبنسر وسوروكين، فأخذت نظريته العامة طابعا تطوريا. (الجوهري،301)

كتب في الأسرة والبيروقراطية والمهن والسياسة، وأسهم في تطور الوظيفية (رغم أن الريادة كانت لكونت ودوركهايم)، حيث تنظر الوظيفية في كيفية اتجاه أجزاء المجتمع المتعددة أو نظمه بما يحقق لهذا الأخير الاستمرار بمرور السنوات.

وكان للانتروبولوجيا تأثير مهم في هذا التطور من خلال أعمال مالينوفسكي، رادكليف براون وكلود ليفي شتراوس. حيث قامو بدراسة وظيفة الممارسات أو النظم لمعرفة دورها في استمرار المجتمع. ولكي نفهم ذلك نقوم بالمماثلة البيولوجية أو المقارنة التي قام بها كونت ودوركهايم وهربرت سبنسر. (خلف،2009: 477)

ج) علم الاجتماع الأمريكي ما بين الحربين: غلب على هذه الفترة الطابع الامبريقي الذي ارتبط بمدرسة شيكاغو وسلسلة الدراسات المونوغرافية التي أجريت على المجتمعات المحلية، حيث كانت المركز الدينامي للعلوم والبحوث الاجتماعية. حيث اهتموا بالصراع والجوانب الباتولوجية للوسط الحضري، وشهدت سنوات العشرينات والثلاثينات نقاشا مكثفا حول مشكلات الجماعات العرقية والعلاقات بين الأجناس. والآثار المترتبة عن سوء التنظيم الاجتماعي، كالجريمة والمرض العقلي وانحراف الأحداث. (الجوهري، 309)

د) <u>وظائف النسق عند بارسونز:</u> لا مناص من تناول وظائف النسق حسب ما وضعها بارسونز التي قصد فيها المهام والواجبات التي يقوم بها نسق الفعل الاجتماعي وهي على أربعة أنواع: (خليل العمر،2005: 75)

- **وظيفة التكيُّف:** أي طاقة الفاعل على التأقلم مع الوضع الجديد وتجنب الوسائل العائقة والمانعة في تبني تصرف جديد.
- **وظيفة تحقيق الأهداف**: التي تعزز وتكثف طاقة الفاعل من اجل تحقيق أهداف المجتمع.
- **وظيفة التكامل:** التي تنسق الدوافع والعناصر الرمزية والثقافية لكي تتقارب وتتجاذب بعضها من بعض.
- **وظيفة الوقاية أو المحافظة**: بعدم الانحراف عن معايير وقيم المؤسسات الاجتماعية وذلك بتوجيه السلوك نحو التماثل مع القيم الثقافية والتحصن ضد حدوث سلوك فوضوي لا يتناسب مع متطلبات النسق.

ه) **النقد الموجه له:** ركز بارسونز على العوامل المؤدية إلى التماسك والتوازن وأهمل مفاهيم الاختلال والصراع. كما بالغ في المماثلة البيولوجية (فالحاجات والأهداف لها معنى أكثر إذا طبقت على الكائنات البشرية).

خامسا: النظرية متوسطة المدى والوظيفية المحدثة:

1) إسهامات روبرت ميرتون Robert Merton:

قام بصقل الوظيفية لتواكب المجتمعات الصناعية المعاصرة عكس المجتمعات البدائية التي درسها علماء الانتروبولوجيا. كما أدخل العديد من المفاهيم المهمة لإثرائها ومحاولة بناء إطار نظري جديد يخالف بارسونز في رؤيته التجريدية والمعقدة للمجتمع ويدعو إلى ضرورة تبني نظرية متوسطة المدى تعتمد على اختبار مجموعة من القضايا الاجرائية القابلة للفحص في الواقع والممثلة له. ولذلك يقترح الدليل المنهجي وهو قائمة ما يجب دراسته من الظواهر من المنظور الوظيفي الواعد ولكنه الغير الدقيق منهجيا لعدم دقة مفاهيمه وفرضياته وعدم تحديدها بدقة.

2) المفاهيم الجديدة عند روبرت مرتون:

1.1. الوحدة الوظيفية للمجتمع: تعتبر العناصر الثقافية (المعتقدات، الأدوار، النظم والأنشطة بمعنى الممارسات) بأنها وظيفية بالنسبة للنسق الاجتماعي والثقافي. وهذا ما ينتقده مرتون حيث يرى أن هذا الافتراض انثروبولوجي، فان صدق في المجتمعات البدائية قد لا يكون كذلك في المجتمعات المعقدة مثال الدين قد يكون وظيفيا في مجتمعات دون أخرى.

1.2. العمومية الوظيفية: هي البحث عن الوظائف الايجابية لكل عنصر اجتماعي، وينتقد مرتون مرة أخرى هذا الافتراض باعتبار أنّ بعض الوظائف قد تكون سلبية أو حيادية حسب الوحدة الاجتماعية موضوع البحث. لذلك يجب البحث في التوازن القائم بين الوظائف الايجابية والمعوقات الوظيفية قبل الحكم على عنصر إذا كان وظيفي أو غير وظيفي.

1.3. الوظائف الظاهرة والكامنة: يتحدث في كتابه النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعي عن الوظائف الظاهرة مرتون بين وظيفتين للنسق: الكامنة منها والظاهرة، حيث تعبر هذه الأخيرة عن الوظائف المعروفة والمقصودة من الأفراد الذين ينخرطون

في نمط معين للنشاط الاجتماعي. أما الوظائف الكامنة فهي الآثار المترتبة عن ذلك النشاط بحيث لا يعيها الأفراد المنخرطون. مثال: رقصة المطر عند الهنود من اجل جلب المطر للزراعة.الوظيفة الظاهرة: جلب المطر، أما الوظيفة الكامنة: تعزيز تماسك المجتمع. (خلف، 2009: 479)

ويستنتج مرتون أن الكشف عن الظواهر الكامنة للأنشطة والنظم الاجتماعية جانب أساسي من جوانب التفسير في علم الاجتماع. وهي النتائج الموضوعية والكامنة وهي الغير مقصودة. مثلا: الاستهلاك الاقتصادي.

1.4. مفهوم البدائل الوظيفية: تشير البدائل الوظيفية إلى مدى التنوع الممكن في الوسائل التي تستطيع أن تحقق مطلباً وظيفياً. أي تنوع الوسائل التي تشبع الحاجات. (ملحم أبو حمدان،2017)

1.5. المعوقات الوظيفية: يعتبر هذا المفهوم أداة تحليلية هامة لفهم ودراسة الديناميات والتغير.

1.6. الاختلال الوظيفي (dysfonction) حيث يرى أن الثقافات المحلية التي درسها الانتروبولوجيون أكثر تكاملا وتضامنا من المجتمعات الصناعية ولهذا ركزوا على تحديد الوظائف فقط. (مجتمعات مستقرة ومتكاملة). بينما في المجتمعات المعاصرة يجب أن نكون واعين بالاتجاهات المفضية إلى التفكك. فقد يؤدي الاختلال الوظيفي في جوانب النشاط الاجتماعي إلى التغير مما يهدد التماسك الاجتماعي.

1.7. البناء الاجتماعي والأنومي: يحاول في كتابه البناء الاجتماعي والأنومي إيجاد تصنيف لأساليب السلوك ودراسة الانحرافات من خلال الاختلال الوظيفي للسلوك والتركيز على ملامح الحياة الاجتماعية التي تتحدى النظام القائم للأشياء. مثال: الاختلال الوظيفي الديني: هنا الدين يؤدي وظيفة تماسك المجتمعات. أما الاختلال الوظيفي كالطائفية في الأديان تؤدي إلى الصراع الاجتماعي.

3) نيل سملسر: الاتساق والتغير الاجتماعي:

1. **مفهوم الاتساق**: يستخدم هذا المفهوم في دراسة التغير الاجتماعي ويستعين بمفهومين: النسق الاجتماعي والتباين الاجتماعي. في رؤية التغير على انه يمثل عملية تكيف

توافقي للمجتمع. فالنسق الاجتماعي يحقق توافقه وتكيفه لكي يعيد تأسيس حالة التوازن من جديد.

طبق مفاهيم البنائية الوظيفية في مؤلفه: التغير الاجتماعي في الثورة الصناعية وقدم دراسة مفصلة حول النمو الاجتماعي المرتبط بالتنمية الصناعية في صناعة القطن سنة (1770-1840) في مدينة لانكشير. حيث اعتبر هذه الفترة فترة توافق متلاحق في المجتمع عكس فترة ما قبل 1770 والتي تميزت بالاستقرار نسبيا أو مثلت حالة توازن وأكد أن نمطا جديدا من التوازن تحقق بعد عام 1840. ويفسر هذه العملية من خلال مفهوم التباين البنائي وان هذا الأخير كان مسؤولا عن ظهور شكل بنائي جديد للمجتمع يلائم متطلبات الإنتاج الصناعي.

حيث تغيرت وظائف الأسرة في مواجهة حالة التوافق الجديدة بسبب التغيرات التي شهدها النظام الاقتصادي. وقدم دراسات عن منظمات رئيسية (النقابات، البنوك الادخارية، جمعيات الصداقة) وكلها تسعى لتحقيق التوافق بين الاسرة والنظام الاقتصادي المتغير.

2. **مفهوم نسق القيمة:** هو المصدر الرئيسي لتقييم التغيير البنائي للمجتمع وهو الذي يحدد اتجاهات التغير الاجتماعي ودرجاته، وان نسق القيم المحوري يظل ثابتا خلال مرحلة التباين الاجتماعي في فترة زمنية محددة.

4) دافيز ومور: النظرية الوظيفية للتدرج:

قدم هذان العالمان تحليلا وظيفيا لظاهرة التدرج الاجتماعي، فهما يعتبرانه ظاهرة عامة في كل المجتمعات، وبالتالي تؤدي وظائف ايجابية يحتاج لها المجتمع. وتهدف هذه النظرية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف كالتالي:

1) أن هنالك مجموعة من الأوضاع المتدرجة في المجتمع.
2) المجتمع بحاجة إلى هذه الأوضاع المتدرجة.
3) أنّ أداء الأدوار المرتبطة بهذه الأوضاع يحتاج إلى أفراد لديهم الدافعية اللازمة لأداء متطلبات كل دور.
4) هنالك مجموعة جزاءات تفرض على أداء كل دور.

وتهتم نظرية التدرج ب:

- الاهتمام بالوسائل التي تتم بواسطتها مهام الدور.

- عدم اهتمامها بالإسهامات الرئيسية للأوضاع المتدرجة.
- تحقيق نوع من الترابط بين مفاهيم النسق الاجتماعي والفعل والوضع في فهم التدرج.

يكمن التدرج حسب دافيز ومور في حاجات المجتمع التي تحفز الأفراد لأداء مهام أدوارهم تلك والتي تحددها المتطلبات الوظيفية للمجتمع.

وأنّ نسق التدرج مرتبط ببقاء النسق الاجتماعي واستمراره في الوجود.

سادسا: النظرية الماركسية التقليدية:

1) نشأة الماركسية: ظهرت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر في شرق أوربا. أسسها المفكر كارل ماركس (1818- 1883)، درس الحقوق والفلسفة والتاريخ، وكانت مفاهيمه هيجيلية بحتة، تأثر ماركس بكل من الاقتصاد الانجليزي الذي ساد انجلترا بعد الانقلاب الصناعي و بالمذهب الاشتراكي الفرنسي وقد كان ماركس فيلسوفا ومفكرا مادياً. صاحب مقولة **"الدين أفيون الشعوب"** فالدين لا يشجع الفكر الحر الذي ينتج بل يبقيهم كالمخدرين دون طموح للتقدم والتغيير. من أهم مؤلفاته "بيان الحزب الشيوعي" و"رأس المال". (مجدي كامل،2016: 11)

2) **روافدها وأهدافها:** عاصرت التراث الفكري للفلسفة الكلاسيكية الألمانية، الاقتصاد السياسي الكلاسيكي الانجليزي والاشتراكية الفرنسية. وهي نظرية مادية بحتة بعيدة عن الميتافيزيقية والمثالية. موضوعها: الصراع بين الطبقات فمن جهة الطبقة الرأسمالية وملكيتها لوسائل الإنتاج ومن جهة أخرى طبقة البروليتاريا. منهج النظرية: قوانين جدلية وتاريخية.

وهي تهدف إلى تفنيذ واقع الرأسمالية المتعصب، قيام مجتمع اشتراكي وقيام مجتمع شيوعي. إلا أن هذا الطموح اصطدم بواقع الرأسمالية المتعصب ولم تضمحل الرأسمالية لتحل محلها الاشتراكية ومن ثم الشيوعية، هذا ما أدى ببعض المفكرين لنقد نظريته ونعتها بالناقصة. ليأتي من بعده تلامذته ومفكرين معجبين بنظريته اتبعوا خطاه ودرسوا الواقع المعاش بتطبيق النظرية الماركسية الكلاسيكية عليه فوجدوها تحوي على نقائص، مما اضطرهم إلى تحديث النظرية التقليدية واكتشاف طبقة وسطى في المجتمع وإضافة بعض المفاهيم التي كانت غائبة عن كارل ماركس مع حفاظهم على الأساس ولب النظرية الكلاسيكية.

3) **تعريف المدرسة الماركسية التقليدية:**

هي مدرسة اقتصادية قائمة علي الفكر الاقتصادي الاشتراكي،أسسها الحقوقي والفيلسوف كارل ماركس بعد الثورة الصناعية الليبرالية التي تسببت في فقر الطبقة العاملة وثراء أرباب العمل مما أدى إلى تدهور أحوال العمال وازدهار للطبقة البرجوازية من جديد.

4) مفاهيم المدرسة الماركسية التقليدية:

1.4: الصراع الطبقي: يعد كارل ماركس مؤسس اتجاه الصراع الذي هو أحد الاتجاهات الأساسية في النظرية الاجتماعية، والسبب في هذا الصراع هو صراع قائم على المصالح بين الطبقات الاجتماعية. (خالد حامد،2015: 107)

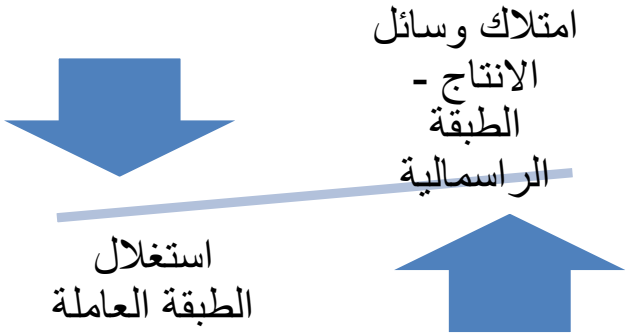

تناقض اجتماع ⇐ صراع ⇐ وعي وتغيير عن طريق الثورة.

2.4: المادية الجدلية: أول من وضع مبادئ المادية الجدلية هو الفيلسوف الألماني كارل ماركس الذي أسسها مع صديقه فردريك انجلز، ويطلق على هذه الفلسفة اسم"المادية الجدلية "لتأثره بالفلسفة الألمانية المادية التي كانت سائدة في عصره، فأخذ عن (هيجل) الجدل وهو المتناقضات التي تنشأ في العقل الجمعي أولا ثم تنعكس على أرض الواقع. وتقوم المادية الجدلية عند كارل ماركس على قوانين ثلاثة وهي كالتالي: (مجدي كامل،2016: 27-28)

أ) قانون وحدة الأضداد وصراعها:

يقوم أساسا على أن كل شيء طبيعي وكل ظاهرة تشتمل على طرفي تضاد، وهذا يولد الصراع بينهما وهذا الأخير لا يقضي على وحدة الشيء أو الظاهرة، بل يقضي إلى تغلب الطرف المعبر عن التقدم على الطرف الآخر فيحدث التحول وهو السبيل إلى التطور.

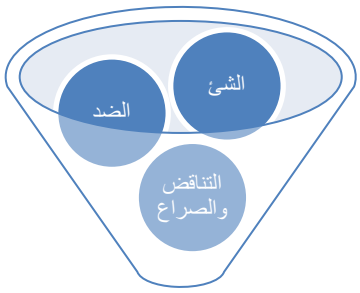

يتغلب العنصر الاقوى

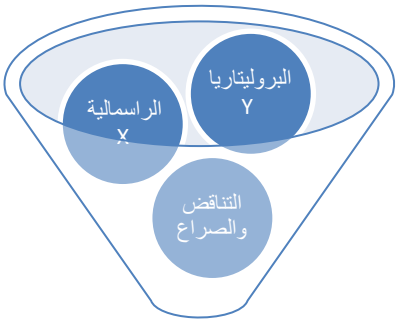

يتغلب العنصر الاقوى:

y<x= Y,

x<Y= x

ب) قانون نفي النفي: يكشف عن الاتجاه العام للتطور في العالم المادي.

نظام قديم ← نفي ← نظام جديد ← نفي ← نظام جديد (نفي النفي)

مثال:

المجتمع الإقطاعي نفي← المجتمع الصناعي الرأسمالي نفي ← المجتمع الاشتراكي (نفي النفي)

ج) قانون الانتقال من التغير الكمي إلى التغير الكيفي:

الرأسمالية ← تغير كمي (الثورة) الاشتراكية ← تغير نوعي الشيوعية

3.4:**<u>المادية التاريخية</u>:** المادة هي أصل ظهور الوعي أو الفكر عند ماركس، ففي رأيه أن المجتمع ناتج من حركة المادة التي تشكل الطبيعة وخاصة أشكالها الطبيعية، وأن الإنتاج المادي هو أساس وجود المجتمع. فالرؤى السياسية، الأخلاقية، التشريعية والدينية تقوم على أساس الإنتاج وهو الأساس الاقتصادي للمجتمع وهذا الأخير يقوم على طبقات تعكسها المصالح المتضاربة وبالتالي الصراع التاريخي. (مجدي كامل،2016: 15)

سابعا: الماركسية المحدثة

1. **مفهوم الماركسية المحدثة:** يطلق مصطلح الماركسية المحدثة على المفكرين المتمسكين بالماركسية التقليدية مع انتقادها في بعض الجوانب. إذن الماركسية المحدثة هي الماركسية التقليدية + الانتقادات الموجهة لها. ونميز الماركسية المحدثة من خلال النقاط التالية: (علي غربي، 2007: 146-147)

1. تسلّم الماركسية الجديدة بمفهومات ومنهج وقوانين الماركسية التقليدية.
2. تنطلق الماركسية الجديدة من الحقائق الجديدة للواقع والقوانين النوعية للتطور الاجتماعي.
3. تشترط الماركسية الجديدة الالتزام بالإطار العام المعرفي والإيديولوجي للنظرية.

2. **نشأة الماركسية المحدثة:** ظهرت كاتجاه فردي للفكر الماركسي وكنتيجة لنجاح بعض تجارب الدول النامية التي طبقت الماركسية وظهور قادة مثل ماوتسي تونغ ممن استطاعوا تغيير واقع مجتمعاتهم. لذلك نميز بين نوعين من الفاعلين في الماركسية المحدثة: رجال التنظير والفكر ورجال الفكر والممارسة: (علي غربي، 2007: 147)

- رجال التنظير: ماركس وأتباعه.
- رجال الممارسة: ماوتسي تونغ، كيميل سونغ، فرانز فانون.

3. **القضايا الفكرية في الماركسية المحدثة:**

1.3: مكانة علم الاجتماع في النسق الماركسي: يوجد موقف ماركسي من علم الاجتماع ومؤسسيه ومن المنهج السوسيولوجي، فقد استوحى ماركس منهجه من الفلسفة المادية التاريخية وانتقد علم الاجتماع الكونتي الوضعي الذي يركز على دراسة الوحدات الاجتماعية ويعتمد على النظرة الايجابية للمجتمع. وبذلك يكون الفكر الماركسي مضاداً للفكر السوسيولوجي الوضعي. وبالتالي يكمن النقد الماركسي لعلم الاجتماع في أنّ تجزئة المجتمع تؤدي إلى هدم الصورة البنائية الكلية. (علي غربي، 2007: 147)

2.3: موقف الماركسية المحدثة: ضرورة تبني المادية التاريخية لقيادة البحوث السوسيولوجية وتوجيهها موضوعا وتصميما مع الإفادة من الأساليب البحثية التي توصل إليها علم الاجتماع شرط ألا يتحول إلى دراسات جزئية إنما يجب أن يكون علما بنائيا له

توجهاته المستقبلية ويسعى لإثراء النظرية وتطويرها. وهنا يكمن الموقف النقدي لسوروكين المعارض للطرح الماركسي.

3.3: الطبقات الاجتماعية والتغيير: يتفق الماركسيون الجدد أن ماركس أولى اهتمام لمفهوم الطبقات الاجتماعية كمقولة تفسيرية للكثير من الظواهر الاجتماعية، وأضفى عليها معنىً سوسيولوجياً متغيراً. فهو يحدد الطبقات الاجتماعية من خلال موقعها في نظام الإنتاج والتنظيم الاجتماعي للعمل ولا يحددها من خلال مؤشرات لاحقة لوجودها. إنما ينتقدون الماركسية لكونها لم تعرّف الطبقة واهتمامها فقط بمحدداتها. ولكن يوجد تعريف شائع للطبقة قدّمه لينين الذي يعرف الطبقات بأنها جماعات من الناس تحتل مواقع متماثلة نسبيا في نظام الإنتاج الاجتماعي. (علي غربي، 2007: 148)

4.3: الدور الثوري للبروليتاريا: يحتاج هذا المفهوم لإعادة النظر نتيجة الطبقة العاملة في المجتمعات الرأسمالية المعاصرة، ففي السبعينيات شكلت الطبقة العمالية آنذاك ما يعرف بالبرجوازية المتوسطة.

5.3: الوعي بالواقع والوعي بالممكن: يقول غولدمان أن البناء الاجتماعي هو عملية دينامية للبناء والهدم لذلك يجب إعادة النظر دوما في النماذج والأطر النظرية، فاقترح تغيير مفهوم الرأسمالية إلى الامبريالية وفق لينين لنعكس الطبيعة المنظمة للرأسمالية العصرية المتقدمة.واعتبر غولدمان مفهوم الوعي الممكن مهما ونقطة ارتكاز منهجية جدلية في علم الاجتماع، فعندما تحدث ماركس عن وعي الطبقة العمالية لم يكن يقصد وعي أفرادها بالواقع وإنما وعي الجماعة بالتغيير. ويرى غولدمان أن الوعي هو عملية دينامية ومحافظة في نفس الوقت، فكل جماعة تسعى لمعرفة الحقيقة لكن ليس للحد الذي يتعارض مع وجودها ومصالحها. (علي غربي، 2007: 149)

6.3: معارضة الماركسية المحدثة للنظرية البرجوازية: تتحدد هذه المعارضة من خلال الأبعاد التالية: (علي غربي، 2007: 150)

أ) **البعد الايديولوجي**: تسعى النظرية البرجوازية إلى تبرير دور الرأسمالية المعاصرة وتخفي تكريس تخلف الدول النامية وتبعيتها لها. وتستعمل في إقناعها للبرجوازيات الوطنية لتبني الديمقراطية الغربية من خلال مساعدات مادية وعسكرية. **بعد الكلية**:

تدعو الماركسية المحدثة إلى ضرورة النظر للمجتمع المعاصر في إطار كلي لفهمه ويعتبر غولدمان أن الماركسية هي منهج الكلية.

ب) **الطبقة الاجتماعية والثورة:** انتقد الماركسيون الجدد دراسة الطبقات من خلال التدرج الاجتماعي الذي ينفي الملامح الدينامية والعلاقات بين الطبقات الاجتماعية. وبالنسبة لدور الثورة يرى الماركسيون الجدد على لسان فرانز فانون أن العنف هو السبيل الوحيد للقضاء على الاستعمار والتغيير. فيبرزون دور الفلاحين والبرجوازية الصغيرة كتحالفات طبقية جنبا إلى جنب مع البروليتاريا المتمركزة في المدن. (علي غربي، 2007: 151)

ج) **الاقتصاد:** يعترفون بدور البعد الاقتصادي الداخلي في فهم أبعاد البناء الكلي للمجتمع ودور النظام الاقتصادي العالمي في تكريس التخلف بالبلدان النامية. (علي غربي، 2007: 152)

ثامنا: النظرية النقدية التقليدية:

1. نشأة مدرسة فرانكفورت:

تأسس معهد فرانكفورت للبحوث الاجتماعية سنة 1923 بقيادة فيليكس فيل مع جورج لوكاش وفريديريك بولوك وغيرهم، ثم تم نقله من ألمانيا إلى الولايات المتحدة سنة 1933 مع صعود الحزب النازي حيث أعيد تشكيله ثم انضم إليه هوركهايمر وادورنو وماركيز وفروم، انضم إليهم هابرماس بعد الحرب العالمية.

وهم في الغالب ينتمون إلى البرجوازية الوسطى وهم من النخبة المثقفة. تجسدت في عدة ميادين ومجالات معرفية، كالفلسفة، وعلم الاجتماع، والسياسة، والفن، والنقد الأدبي. بيد أن هذه المدرسة ستأخذ طابعا فكريا مغايرا منذ السبعينيات من القرن العشرين،

كان يسمى مركز الأبحاث الماركسية ثم مركز البحث الاشتراكي، لكن مع معايشة مفكريه لواقع النظام الرأسمالي في أمريكا وتناقضاته، دفعتهم إلى إعادة النظر في الماركسية كنظرية غير قادرة على فهم الواقع المتغير. (علي غربي، 2007: 178)

2. **مراحل تطور مدرسة فرانكفورت:**

المرحلة الأولى: تميزت بالطابع الامبريقي والتفسير المادي للتاريخ.

المرحلة الثانية: فهم الواقع في ظل المستجدات الاقتصادية النفسية والثقافية.

المرحلة الثالثة: مرحلة المنفى حيث استبدلت نظرية الصراع الطبقي بنظرية صراع الإنسان في الطبيعة واختفاء مفهوم "الطبقة" والبروليتاريا من المدرسة والتركيز على المتغيرات النفسية والثقافية. (علي غربي، 2007: 179)

3. ظروف ظهور المدرسة النقدية:

ازدهر فكر مدرسة فرانكفورت في خمسينيات وستينيات القرن العشرين بعد الحرب العالمية الثانية ثم انحل في السبعينيات. حيث انتقلت مدرسة فرانكفورت من أفكار ثورية ماركسية إلى أفكار متطورة في عهد ماكس هوركايمر، وتمّ التركيز على الفلسفة أكثر من التركيز على التاريخ والاقتصاد كما كان في السابق. وبالتالي فقد استهدفت النظرية النقدية تقويض الثقافة البورجوازية الرأسمالية الاستهلاكية. وعليه فهدف النظرية النقدية هي تغيير المجتمع على جميع المستويات والأصعدة، والتوفيق بين النظرية والممارسة، والجمع بين

المعرفة والغاية وبين العقل النظري والعقل العملي، والمزاوجة بين الحقيقة والقيمة. زد على ذلك فقد كانت النظرية النقدية بمثابة تجديد نقدي للنظريات الماركسية والراديكالية.

هذا ويمكن التمييز بين فترتين في النظرية النقدية أو مدرسة فرانكفورت: فترة الريادة من الثلاثينيات إلى أواخر السبعينيات، وهي فترة هوركايمر، وماركوز، وأدورنو، وفروم...، وفترة التجديد من بداية السبعينيات إلى سنوات الثمانين من القرن الماضي، وهي فترة يورجين هابرماس، وألفرد شميدت، وكلاوس أوفي، وألبرخت فيلمر... وقد احتفظت النظرية النقدية الجديدة لما بعد الحداثة باهتمامها الخاص بفلسفة العلوم الاجتماعية، ونقد الإيدولوجيا.

جاءت النظرية النقدية كردة فعل على الوضعية (Positivism) التي كانت تعنى مع أوجست كونت بدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة علمية موضوعية تجريبية، باستخدام الملاحظة والتكرار والتجربة، وربط الأسباب بمسبباتها، بغية فهم الظواهر العلمية فهما علميا دقيقا. وكانت الوضعية تهتم أيضا بوصف الظواهر دون تفسيرها، لأن التفسير يرتبط في منظور الوضعية بالتأملات الفلسفية والميتافيزيقية. كما استبعدت الوضعية البعد الإنساني والتأملي والأخلاقي في عملية البحث. وقد وجهت مدرسة فرانكفورت إلى هذه النظرية الوضعية انتقادات قاسية.

وهكذا نصل إلى أن النظرية النقدية هي قراءة ماركسية للمجتمع، ونقد للنظرية العلمية والوضعية التي أهملت الإنسان والذات والتاريخ والمجتمع والأخلاق. ومن ثم، تعمل النظرية النقدية على تنوير المرء الملزم، وتنويره عقلانيا وذهنيا، وانتقاد الاغتراب في المجتمع الرأسمالي، وإدانة فكرة التشيؤ والاستلاب والقمع الآلي. ومن ثم، تستند النظرية النقدية في قراءتها للأدب والفن إلى مفاهيم النقد الماركسي الكلاسكي أو الماركسية المعدلة في نظرية هابرماس. ويمكن أن نحدد مجموعة من المراحل التي قطعتها النظرية النقدية الجديدة، فكان هناك في البداية اهتمام بنقد الوضعية العلمية. وبعد ذلك، انتقل الاهتمام إلى المجال الثقافي مع ماركوز، ليتم الإنصات إلى الحركات الثورية الطلابية والأقليات المضطهدة.

تاسعا: النظرية النقدية الحديثة:

1. **الخيال السوسيولوجي عند رايت ميلز:** برز رايت ميلز في الأربعينات والخمسينات من القرن العشرين كرمز لمعارضة راديكالية لتلك الممارسات السوسيولوجية السائدة آنذاك. فهو يعتبر نقطة انقطاع هامة في مسار الفكر الاجتماعي المحافظ المناهضة للتغير الاجتماعي الشامل. وقوبلت أفكاره بالرفض القاطع لتزداد شعبيته في الستينات وبلغت أوجها في عقد السبعينات، تناول فيها مواضيع عديدة كالصفوة السياسية، قادة العمل والطبقة الوسطى. (علي غربي، 2007: 201)

كتب كتاب الخيال السوسيولوجي وعبر فيه عن اتجاه نقدي في مواجهة تيار فكري عارم وهو الاتجاه الوظيفي المحافظ، كما حاول تقديم مشروع نقدي للاتجاهات السائدة في الفكر السوسيولوجي وتقديم بديل نظري لاستيعاب الواقع المعاصر. ولكي نتأمل العصر الفكري السائد والمشكلات التي نعاني منها وإقامة مجتمع إنساني حر. **(غربي،2007: 201)**

- انتقد ما اسماه بالنظريات الكبرى والامبريقية المجردة.
- انتقد بارسونز موجها نقدا لكل العلماء التجريديين في علم الاجتماع.
- طالب بالعودة للتاريخ (الواقع التاريخي البنائي للمجتمعات) لفهم المجتمع الإنساني فهما تفسيريا مقارنا.
- شعر بأزمة انحطاط الفكر السوسيولوجي بسبب سيطرة الفكر الكلاسيكي المحافظ على الحياة السياسية والاجتماعية.

1.2: **<u>دوافع تأسيس الخيال السوسيولوجي عند رايت ميلز:</u>**

1. ضعف علم الاجتماع الكلاسيكي نتيجة لتجاهل الاتجاه البنائي التاريخي.
2. النزعة الامبريقية التجزيئية.
3. رفض الرؤية الوضعية (رفض النظريات الكبرى).
4. رفض الفكر السوسيولوجي المحافظ الذي يتجاهل الصراع والتغير.
5. غياب الوعي وتزييفه في المجتمع الغربي وعامل الاغتراب والانحطاط الأخلاقي والإنساني، وارتباط علماء الاجتماع بالسلطة الحاكمة. (بينما دورهم هو الكشف عن الوعي الزائف)

6. انتقد الفكر الماركسي ووصفه بالفكر المتزمت. . (غربي،2007: 204)

2.2: <u>نقد واستنتاج</u>: يعتبر الخيال السوسيولوجي بالنسبة لرايت ميلز هو الحل الأمثل للتوافق بين الفرد والمجتمع. ولكن يؤخذ عليه انه متناقض ازدواجي في الطرح الذي قدمه، فهو ينظر للبناء الاجتماعي نظرة ماركسية وفي نفس الوقت يتبنى فكر ماكس فيبر حول الفعل الاجتماعي. فهو مشروع أخلاقي طموح لتخليص علم الاجتماع من أزمة الاغتراب، أي اغتراب أفكار العلماء عن الواقعية التاريخية وعن دورهم، فالخيال السوسيولوجي هو الأداة لربط النظرية بالواقع من خلال تحقيق الأهداف التالية: (علي غربي، 2007: 205-206)

1. دراسة الواقع.
2. فهم العناصر البنائية التاريخية.
3. كشف الوعي المزيف (ارتباط علم الاجتماع بالسلطة الحاكمة) أو الانحطاط الثقافي.
4. فهم المجتمع والإنسان في علاقتهما الجدلية المتبادلة (لا يمكن لفصل بين القضايا العامة والخاصة). مثال: أنا أتمسك بالمعايير والقيم ولكنني كانسان كنت سببا في وجودها.

2. **التأمل السوسيولوجي عند إلفن غولدنر:** ألف كتابه "الأزمة المقبلة لعلم الاجتماع الغربي" سنة 1970، حيث قدم فيه نقدا وتحليلا شاملا لعلم الاجتماع وبالخصوص للطرح البارسونزي، حيث انتقد فكرة التساند الوظيفي عند بارسونز وعجز الوظيفية عن فهم التغير. **و**قام بدعوة الوظيفيين إلى بلورة فرضيات جديدة وإعادة قراءة الفكر السوسيولوجي الغربي لأجل تحرير الإنسان من عزلته واغترابه. وطالب بتنمية وعي ذاتي سوسيولوجي لدى علماء الاجتماع، وبالنسبة له يدعو إلى التأمل السوسيولوجي الذي يرمز إلى كل ما يهتم به علماء الاجتماع وكل ما يرغبون به في هذا العالم. أو هو فهم راديكالي لعلم الاجتماع أي رفض فكرة الاغتراب. **(غربي،2007: 209)**

بالنسبة له ليست مهمة ودور عالم الاجتماع هي إجراء البحوث بقدر ما هي قضية وعيه بطبيعة حياته، وهذا الوعي هو الأمل لحل أزمة الثقافة والعلم من خلال خلق الفكر العقلاني الناقد والمساعدة على الإبداع والابتكار.

هذا الفكر النقدي تأصل نتيجة التناقضات التي يعيشها المجتمع الغربي اقتصاديا وسياسيا.

3. نظرية الفعل الاتصالي عند هابرماس:

لتتخذ النظرية النقدية توجها جديا مع هابرماس، حيث **بدأت النظرية النقدية الجديدة** تقدم تصورات مختلفة حول المجتمع متأرجحة بين الفلسفة والعلم، كما أعيدت صياغة الماركسية من جديد على أسس علمية وسياسية واجتماعية ما بعد حداثية، لتنتهي النظرية النقدية بالثورة على ما بعد الحداثة نفسها، وذلك حينما وقع اختلال مجتمعي وحضاري بين القيم المادية والقيم المعنوية، فترتب عن ذلك أن أصبحت ما بعد الحداثة حالة مرضية مأساوية.

هكذا سعى هابرماس إلى جعل المعرفة مرتبطة بالتحرر، وقدم في كتابه "نظرية الفعل الاتصالي" فلسفة اللغة لتطوير الأساس النظري للنظرية النقدية:

4. التحرر عن طريق فلسفة الوعي
5. التواصل والتفاعل العقلاني بين البشر
6. تتجسد العقلانية في الدقة من خلال نظام اجتماعي ديمقراطي يقوم على التفاهم والتواصل.

أولاً: نظرية التبادل الاجتماعي:

تمهيد: في إطار موجة النقد التي عرفها الحقل السوسيولوجي في ستينيات القرن العشرين، سعى بعض العلماء لصياغة مجموعة من البدائل النظرية لتحل محل النظريات الكلاسيكية. نذكر منها على سبيل المثال نظرية التبادل الاجتماعي كنظرية معاصرة وبديلة. (علي غربي،2007: 217)

1. **مفهوم التبادل:** يشير مصطلح التبادل إلى درجة كبيرة من التساند والاعتماد بين الأفراد الذين يتفاعلون في صفقات وتبادلات تتعلق بأشياء ذات قيمة مادية، إنسانية أو خدماتية ...الخ
2. **عملية التبادل:** في إطار العلاقات التبادلية وجب أن نطرح الأسئلة التالية: من يتبادل؟ ماذا يتبادل؟ كيف يتبادل؟
3. **عناصر عملية التبادل الاجتماعي:** تتمحور عملية التبادل حول مجموعة من العناصر وينظر أصحاب هذا الاتجاه إلى أن هذه العلاقات تشكل أساس النظام الاجتماعي العام وهي: الفاعل -علاقة التبادل – القوة –التوازن –القيمة-المكافأة-الفوائد-الموارد والمصادر- التكلفة- البدائل – الاعتماد.
4. **المصادر المعرفية لنظرية التبادل:** استمدت هذه النظرية بعض مبادئها التفسيرية من ثلاثة مصادر كبرى: (علي غربي،2007: 218)

أ) علم الاقتصاد الكلاسيكي: من خلال مفهوم النفعية.

ب) علم النفس السلوكي: كل سلوك له مكافأة وثواب.

ت) الانتروبولوجيا الوظيفية: يوجد تبادل بين النظم تفسر لنا العلاقة بين الوظائف.

في حين يذكر كولمان أنّ هذه النظرية اعتمدت على ثلاثة مصادر معرفية وهي: الاقتصاد وعلم النفس وفلسفة اللذة. (محمد علي، 362،2013)

5. **قضايا نظرية التبادل:**

أ) يتصرف الإنسان بشكل منطقي وعقلاني من حيث طبيعته.

ب) يحدد الإنسان مجموعة من الأهداف ويستعمل أكثر الوسائل كفاءة لانجازها.

ت) يعيش الإنسان في وسط اجتماعي فيتعرض لتأثير الآخرين على أهدافه.

ث) الإنسان واعي بانتمائه وينتج علاقات تبادلية أساسية.

ج) يجب البحث عن الحقيقة في الفرد وليس المجتمع. (فهذه النظرية ترتكز على فكرة أنّ المجتمع هو مجموعة من الأفراد ومجموعة من التبادلات بينهم، لتصبح مع مرور الزمن تنظيمات اجتماعية معقدة).

ح) يعتبر الفرد وحدة تحليل أساسية تتم ملاحظتها للتعرف على طبيعة النظام الاجتماعي. ثم الانتقال لفهم طبيعة الجماعات.

6. **<u>البنائية التبادلية عند بيتر بلاو:</u>**

يعد كتاب بيتر بلاو التبادل والقوة في الحياة الاجتماعية الذي نشر عام 1964 من الأطروحات الأخرى المهمة لنظرية التبادل. وقد تبنى بلاو منظور هيومانز بصفة أساسية، إلا أن هناك اختلافا مهما بينهما. فإذا كان هيومانز قانعا بدراسة الصور الأساسية للسلوك الاجتماعي، فقد رغب بلاو في أن يدمج ذلك مع التبادل على المستويات البنائية والثقافية، بدءا بالتبادل بين الفاعلين ثم الانتقال سريعا إلى الأبنية الكبرى التي تنشأ عن هذا التبادل، وانتهاءا بالتبادل بين الأبنية الكبرى. وهذا يختلف اختلافا تاما عن نظرية التبادل التي تصورها هومانز. وتمثل نظرية بلاو في بعض توجهاتها عودة إلى نوع من التنظير على النمط البارسونزي الذي اعترض عليه هومانز. وعلى أية حال فإن محاولة دراسة التبادل على مستوى الوحدات الصغرى والكبرى بطريقة متكاملة محاولة برهنت على أنها خطوة نظرية مفيدة. (خلف،2009: 345)

أسهم بيتر بلاو في تطوير نظرية التبادل الاجتماعي باعتباره من أهم العلماء المسهمين في مجال نظرية علم الاجتماع. وحاول صياغة منظور سوسيولوجي يختلف عن غيره من المنظورات الأخرى لأن اهتمامه بالتبادل جاء على مستوى البناء الاجتماعي، دون الاهتمام بالجوانب النفسية الفردية كما فعل هيومانز.

في مؤلفه الموسوم "التبادل والقوة في الحياة الاجتماعية" سنة 1963، تحدث فيه عن منظوره الجديد المسمى"البنائية التبادلية" وشرح فيه مفهوم التبادل الاجتماعي بأنه: "الميكانيزم الرئيسي في الحياة الاجتماعية والمبدأ الرئيسي الذي تنهض عليه الطبيعة البشرية أو على الأقل جزءا منها". ويعرف القوة الاجتماعية بأنها "الميكانيزم الذي يكفل ضبط سلوك الآخرين عن طريق الجزاءات السلبية" أي أن أصحاب القوة يصوغون النظم

وكل من يخرق القواعد التي تستند إليها هذه النظم يتعرض للعقاب. (علي غربي،2007: 225)

1.6: **مفهوم القيم والتبادل الاجتماعي:** يتشارك الأفراد علاقات متبادلة في ضوء مجموعة من القيم، والاتفاق عليها دليل على تضامن وتكامل أعضاء الجماعة ومن تم تماسكها. واختلاف القيم يؤدي إلى اختلاف وتمايز الجماعات مما قد يؤدي إلى الصراع والتناقض.

مثال:النجاح الاقتصادي يمثل قيمة مقبولة للانجاز الاجتماعي مما يؤدي إلى تماسك البناء الاجتماعي وقد يؤدي إلى التمايز والتفرقة بين الأفراد الذين يحققون هذا النجاح والعاجزين عنه، وبالتالي يستنتج أن البناء الاجتماعي يتضمن كل عوامل التماسك المتمثلة في القيم العامة وعوامل التفكك التي تؤدي للصراع وضعف التضامن الاجتماعي.

يستعمل مفهوم التبادل الاجتماعي لتفسير كافة أنماط التجمعات الإنسانية، فيرى أن التفاعلات والعلاقات التي تتم في الوحدات الصغرى يزداد عدد أعضائها فتنمو باستمرار حتى تصبح وحدات كبرى. أي انه ينظر للبناء الاجتماعي على أنه يحدث تلقائيا من خلال التبادل والتفاعل الذي يتم بين الوحدات الصغرى. ويرى أن البناء الاجتماعي ينبثق عن أنماط التبادل: " لسنا بحاجة لمعلومات عن الجماعات لكي نستطيع تفسير السلوك أو النشاط الجماعي، ذلك أنه يستطيع أن يكون صاعدا (يبدأ من الوحدات الأصغر إلى الوحدات الأكبر)". (علي غربي،2007: 225-226)

2.6: **تحليل التفاعل المتبادل لأنماط المكافأة/ الكلفة:** يسعى الإنسان بالطبيعة لزيادة المكافأة وتقليص التكاليف، وهنالك حالات عدم التوازن بين المكافآت في بعض التبادلات السلوكية بين الأفراد، وهذا محور اهتمام بلاو لفهم بناء الجماعة والقوة الاجتماعية.

الفرد 1 ⟸ الفرد2

علاقة تبادلية

مكافأة 1= y ⟸ مكافأة 2= y$

أنماط التبادل الغير متوازنة = علاقة غير متكافئة ← تؤدي إلى التمايز في المكانة الاجتماعية

الفرد1: الخضوع والامتثال

الفرد2: المكانة والقوة= القيادة والسيطرة

مثال: المنظمات الاجتماعية تحتاج هذا التمايز للاستمرار (تحتاج القياديين المدبرين وتحتاج الخاضعين المنفذين) مما يؤدي لتحقيق الأهداف.

ويطرح بيتر بلاو سؤالا مهما: كيف يستطيع البناء تحقيق الاستقرار؟ وما هي العوامل المؤدية لإحداث التغير الاجتماعي؟ (علي غربي،2007: 225-226)

التنظيم المستقر	علاقة الخضوع←المنفعة> العمل المبذول←الاتفاق العام←شرعية القوة←التنظيم يكتسب السلطة الشرعية←تحقيق التوازن والاستقرار.
التغير الاجتماعي	علاقة الخضوع←المنفعة < العمل المبذول←الاستغلال←الغضب والإحباط والعدوانية[3]←الرفض الجمعي للقوة←المعارضة←عدم التوازن←صراع في العلاقات←عملية التغيير.

7. **التبادلية السلوكية عند هيومانز:** كان بزوغ نظرية التبادل تطورا نظريا مهما بدا في الخمسينيات ليضاف إلى غيره من التطورات النظرية. ويعد جورج هيومانز أبرز شخصية في هذا التطور، وهو عالم الاجتماع الذي تركنا الحديث عنه وهو مفتون بالنزعة السلوكية النفسية عند سكنر التي تعد المصدر الرئيسي لنظرية التبادل عند هيومانز بصفة خاصة وعلم الاجتماع بصفة عامة.

ونظرا لعدم قناعته باستراتيجية الاستدلال عند بارسونز في تطوير النظرية، فقد كان هيومانز مشغولا بالبحث عن بديل علمي لمعالجة نظرية علم الاجتماع معالجة استقرائية، ناهيك عن رغبته في الابتعاد عن بؤرة الاهتمام الثقافية والبنائية في النظرية البارسونية والتركيز-بدلا من ذلك- على الناس وسلوكهم.

[3] في علم النفس تكون ردة الفعل هذه نتيجة للاحتراق النفسي خاصة في مجالات العمل وعكسها يسمى الرضا في العمل satisfaction au travail ou le bien etre professionnel «well being »

1.7: تأثير سكنر على أفكار هيومانز: اتجه هيومانز إلى العمل مع زميله في جامعة هارفارد، وهو سكنر. وفي بداية الأمر لم ينظر هيومانز في كيفية الاستفادة من القضايا الافتراضية عند سكنر-التي طورها للمساعدة في تفسير سلوك الحمام-في فهم السلوك الاجتماعي الانساني. وعندما تمعن هيومانز النظر في بيانات الدراسات السوسيولوجية للجماعات الصغيرة والدراسات الانتروبولوجية للمجتمعات البدائية، بدا يرى ان النزعة السلوكية عند سكنر قابلة للتطبيق وأنها تشكل بديلا نظريا عن الوظيفية البنائية على النمط البارسونزي. وهذا ما أدى به إلى مقالة عنوانها "السلوك الاجتماعي كتبادل" عام 1958، والى كتاب نشره عام 1961 يتضمن أطروحاته النظرية، وكان عنوان هذا الكتاب "السلوك الاجتماعي: أشكاله الأساسية". وشكل هذان العملان مولد نظرية التبادل كمنظور مهم في علم الاجتماع. ومنذ ذلك الحين لاقت نظرية التبادل اهتماما بالغا بعضه ايجابي وبعضه سلبي. (خلف،2009: 344)

وتتمثل وجهة النظر الأساسية عند هيومانز في أنّ دراسة السلوك والتفاعل الفرديين تمثل قلب علم الاجتماع. ولم يأبه هيومانز كثيرا بالوعي أو بالأنواع المتعددة للأبنية والنظم الكبرى التي حازت على اهتمام معظم علماء الاجتماع. فقد انصب اهتمام هيومانز على أنماط التدعيم، وتاريخ المكسب والخسارة التي تؤدي بالناس إلى أن يتصرفوا على النحو الذي هم عليه. ولكي نفهم السلوك يتعين علينا أن نفهم تاريخ المكسب والخسارة لدى الفرد. ومن هنا ينبغي ألا ينصب اهتمام علم الاجتماع على الوعي أو الأبنية والنظم الاجتماعية، ولكن على أنماط التدعيم.

ولا تهتم نظرية التبادل بالسلوك الفردي، وإنما تهتم بالتفاعل بين الناس المشاركين في تبادل المكسب والخسارة. وتتمثل المقدمة المنطقية هنا في أنّ التفاعل يستمر عندما يكون هناك تبادل للمكاسب، ويتوقف هذا التفاعل عندما يؤدي إلى خسارة لأحد طرفي التفاعل أو كليهما. (خلف،2009: 345)

2.7: الجماعة الإنسانية والسلوك الاجتماعي عند هيومانز: صاغ نظرية التبادل الاجتماعي في كتابين: "الجماعة الإنسانية" و "السلوك الاجتماعي"، حيث ناقش بطريقة نقدية إشكاليات قصور الوظيفية في كتابة " العواطف والنشاطات" نذكر منها: (علي غربي،2007: 220-221)

1. رفض فكرة التساند والترابط المتبادل بين النظم.
2. رفض فكرة أنّ التغيير في أي نظام يؤدي إلى تغيير النظم الأخرى.
3. يرى أنّ النظم لا تتشابك بشكل إلي ميكانيكي فسلوك الناس يتوسطها.
4. لا تؤدي الوظائف الايجابية لنظم المجتمع حتما إلى استمراره. واستشهد في نقده هذا بدراسة مونوغرافية عن مجتمعات انقرضت رغم اعتمادها على وظائف ايجابية ونظم ولكنها لم تقاوم الأمراض.
5. ينتقد المفاهيم المعقدة التي وضعها الوظيفيون مثل بارسونز ويطالب بعدم استعمال مفهومات ذات تجريد من المستوى العالي.
6. يطالب بدراسة وتفسير السلوك الفعلي والسلوك الاجتماعي ويستعين بالقواعد والمعايير كحقائق فقط.
7. ينتقد العلماء الذين يفسرون النظام من خلال المماثلات وأشكال القياس ويدعو للتساؤل: لماذا يجد بعض الأفراد والجماعات مصلحتهم في نظام معين ولا يجد غيرهم ذلك؟

أ) **كتاب "الجماعة الإنسانية":** صاغ هيومانز في هذا الكتاب ملخص لنتائج عدد من البحوث تهدف لبناء نظرية في علم الاجتماع فيقول: "مهمة علم الاجتماع هي دراسة سلوك الجماعة". كما حلّل هذا السلوك إلى مجموعة عناصر متبادلة التساند وهي: (علي غربي،2007: 222)

- النشاطات وهي حركات وأفعال الأفراد في موقف معين.
- التفاعل وينتج عن الأنشطة المتبادلة.
- العواطف وهي الحالات النفسية الداخلية عند الناس (نبرات الصوت وتعبيرات الوجه).

ب)**كتاب "السلوك الاجتماعي":** صاغ فيه مجموعة من المبادئ التي يقوم على أساسها السلوك الاجتماعي: (علي غربي،2007: 223-224)

- منعكس بافلوف: المثير أ في الزمن أ يؤدي إلى المكافأة أ.
- تكرار نفس المثير أ في الزمن ب يؤدي إلى المكافأة أ.
- تكرار المكافأة يؤدي إلى تكرار النشاط أو الفعل.

- زيادة تكرار النشاط المكافئ يؤدي إلى نقصان قيمة الوحدات الأخرى للنشاط.
- عدم تحقق قاعدة العدالة التوزيعية يؤدي إلى ظهور السلوك العاطفي المتمثل في الغضب.

العدالة التوزيعية ← التكاليف = المكافأة.

اللاّعدالة التوزيعية ← التكاليف > المكافأة.

الخلاصة: لم يطرح هيومانز هذه القضايا كمسلمات ثابتة وإنما كقضايا جديرة بالبحث الامبريقي.

8. **<u>إسهامات ريتشارد ايمرسون</u>**: برز ريتشارد ايمرسون 1981 حديثا كشخصية محورية في نظرية التبادل على الرغم من بعده عن الأضواء لسنوات عديدة تحت تأثير هيومانز وبلاو. (مصطفى خلف، 345) وحاول ايمرسون تطوير مدخل إلى نظرية التبادل يدمج التحليل على مستوى الوحدات الصغرى والكبرى معا، كما تعود أهمية ايمرسون إلى جهوده في نظرية التبادل مع ربطها بنظرية شبكة العلاقات. وباختصار، لقد تطورت نظرية التبادل اليوم إلى تيار مهم في نظرية علم الاجتماع، وتواصل هذه النظرية جذب مناصرين جدد لها، وتنحو نحو اتجاهات جديدة. (خلف،2009: 346)
9. **<u>النقد الموجه لنظرية التبادل الاجتماعي:</u>** وجهت لها انتقادات كثيرة لما يعتريها من غموض وعجزها عن تحقيق صلة بين قضاياها والبحث الامبريقي. بالنسبة لنظرية بيتر بلاو وبالرغم من قوتها يعتبرها النقاد مثال حي عن المجتمع الأمريكي وثقافته ذات النزعة الفردية والسعي وراء الربح كمقياس للتفوق حتى أنّ العلاقات يتم حسابها في ضوء مقولات اقتصادية خالصة.

ثانيا: نظرية التفاعلية الرمزية:

1) **مفهوم التفاعلية الرمزية:** نشأت هذه النظرية في مدرسة شيكاغو في عشرينيات القرن الماضي ويعتبر هربرت ميد (1863-1931) من أهم مؤسسي هذه المدرسة. تأثرت بالاتجاه النفعي الذي يدّعي بأنّ الحقيقة هي في صميم التجربة الإنسانية وأنّ المعرفة آلة في خدمة مطالب الحياة وأنّ الفكر في طبعه نفعي. كما تأثرت بالتفسير الاجتماعي للايكولوجيا (دراسة العلاقة بين الكائن والطبيعة) واعتمدت على أسلوب الملاحظة بالمشاركة وتركز بقوة على البحث التجريبي. (يحياوي،2018: 35)
2) **الفرق بين التفاعلية الرمزية والوظيفية:** تعتمد التفاعلية الرمزية على المعاني والرموز على مستوى وحدة الفعل الصغرى خلافا لنظرية بارسونز التي تدمج بين الأنساق الاجتماعية والأدوار بوصفها نتيجة للفعل الاجتماعي وفي بعض الأحيان العكس أي تنطلق من المسلمات التي تقوم عليها (يختار الفاعل من بين عدة أهداف ويختار الوسائل لتحقيقها في موقف يتكون من موضوعات مادية واجتماعية تتضمن معايير اجتماعية وقيم ثقافية).

تم تعميم نظرية بارسونز من نظرية تخص الأفراد إلى نظرية تخص المجتمعات، أما نظرية التفاعلية الرمزية فتظل على مستوى الفعل الاجتماعي. حيث يوجه الفاعلون أفعالهم نحو بعضهم البعض لتحقيق الإشباع المتبادل وإذا ما نجحت تلك العملية فإنّ أفعالهم تصبح ثابتة وتتخذ أنماطا من أدوار المكانة (تشكل بنية أدوار).

نظرية بارسونز	البنى الاجتماعية هي بنى للأدوار يتم تحليلها على مستوى الأنساق.
التفاعلية الرمزية	البنى الاجتماعية هي بنى للأدوار يتم تحليلها على مستوى الفعل الصغرى.

3) <u>الفرضيات الأساسية للتفاعلية الرمزية حسب هربرت بلومر:</u>

1. يتصرف البشر تجاه الأشياء على أساس ما تعنيه لهم تلك الأشياء.
2. تعتبر هذه المعاني نتاجا للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.
3. تعدل هذه المعاني ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستعملها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها. (خالد حامد،2015: 123)

تمثل هذه الفرضيات تطابقا مع الأقسام الثلاثة لكتاب هربرت ميد "العقل والذات والمجتمع":(علي غربي،2007: 229-230)

- يناقش فيه الخصائص التي تميز الإنسان عن الحيوان مثل: اللغة والرمز الدال والذي يمثل المعنى المشترك.
- من خصائصه انه يتطور في سياق عملية التفاعل التي تتلخص هي ذاتها في سعي البشر لتحقيق نتائج عملية في التعاون فيما بينهم.
- التفاعل الاجتماعي يولد المعاني والمعاني تشكل عالمنا بما نطلق عليه من معاني.
- المعاني تتغير وتتطور ومعها يتغير العالم ويتطور.

من خلال هذا الطرح تتجلى ما يمكن تسميتها بالمحادثات الخارجية (أي ذلك النوع من عمليات التفاعل التي نخلق بها عالمنا المشترك) أيضا عملية التأويل الداخلي والتي هي محادثة بين جزئين مختلفين من الذات. وتقدم المحادثة الداخلية قناة لابد أن تمر منها جميع المحادثات الخارجية أو أنماط التفاعل ويقتضي هذا المفهوم وصفا لعملية التنشئة الاجتماعية.

4. تيارات التفاعلية الرمزية: تتضمن التفاعلية الرمزية العديد من التيارات التي تختلف فيما بينها في بعض الجزئيات وكل تيار يركز على جانب من هذه النظرية وهي أربعة كالتالي: (علي غربي،2007: 230)

1. مدرسة شيكاغو.
2. مدرسة ايوا.
3. نظرية الدور.
4. المنظور المسرحي.

1.4: مدرسة شيكاغو: تركز على عملية انسياب التفاعل والعمليات التأويلية وتنظر إلى الأسلوب الذي تتغير به المعاني وتتطور.

1.1.4: أعمال جورج هربرت ميد: يقدم "هربرت ميد" مقولات كأسس للتفاعلية الرمزية وهي:

أ) **الذات والعقل**: يرتبط العقل مباشرة بالاتصال والرموز واللغة وهو في ذلك مرتبط بالفعل والفيزيولوجيا ويعتمد على عمليات الاختيار والإدراك والفعل المنظم بالنظر إلى بعض الموضوعات.

ب)**المعاني والرموز:** هي الخصائص التي تميز الإنسان عن الحيوان مثل: اللغة والرمز الدال والذي يمثل المعنى المشترك. ويرى "ميد" أنّ نمو الذات قد تطور وفق مراحل:

ت)مرحلة اللعب « play stage » ويحدث فيها تمثيل الأدوار دون إدراك جوانبها مثلما يفعل الأطفال وتسمى « rôle-playing »

ث)مرحلة المباراة « game-stage » حيث يتعين على الشخص استيعاب الكثير من التوقعات وتسمى اكتساب الدور « rôle-taking »

ج) وتكتمل هاتين المرحلتين بالنظر إلى الذات نظرة موضوعية نأخذ فيها نظرة الآخرين بعين الاعتبار أي "الآخر المعمم" [4]« the generalized other »

ح) **التفاعل الاجتماعي:** يتطور المعنى في سياق عملية التفاعل التي تتلخص هي ذاتها في سعي البشر لتحقيق نتائج عملية في التعاون فيما بينهم. فالتفاعل الاجتماعي يولد المعاني والمعاني تشكل عالمنا بما نطلق عليه من معاني، وهي تتغير وتتطور ومعها يتغير العالم ويتطور.

خ) **السلوك والتوقع:** يقول "هربرت ميد": "الضبط الاجتماعي هو تعبير عن الأنا الخارجية في مواجهة الأنا الداخلية، فالأولى تضع الحدود أمام الثانية بحيث تتمكن الأخيرة من استخدام الأولى كوسيلة للعقل والسلوك". الأنا الداخلية+الأنا الداخلية = الشخصية الإنسانية كما تظهر للعيان في عالم الخبرة الاجتماعية.

[4] الآخر هنا يعد بمثابة المعيار الذي تقوم على أساسه الذات والمجتمع مطلب مهم من مطالب تطور الذات.

د) **الدور:** يعتبر المجتمع في ضوء التفاعلية الرمزية شبكة معقدة من الأفعال الفردية والتفاعلات بين الأفراد، وهي منظمة ومراقبة ومدفوعة بالعضوية الاجتماعية، بما يترتب عنها من أدوار وتوقعات يتعلمها الفرد عن طريق التنشئة الاجتماعية. (خالد حامد،2015: 126)

1.2.4: أعمال هربرت بلومر: قدم بلومر فرضيات تتطابق مع الأقسام الثلاثة لكتاب هربرت ميد "العقل والذات والمجتمع" وهي كالتالي:

أ) يتصرف البشر تجاه الأشياء على أساس ما تعنيه لهم تلك الأشياء.

ب)تعتبر هذه المعاني نتاجا للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني.

ت)تعدل هذه المعاني ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستعملها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

ويركز بلومر على البعد الذاتي-الكيفي للسلوك وذلك من خلال دراساته الامبريقية[5] للسلوك الجمعي في إطار المجتمع، معارضا بذلك تطبيق مناهج العلوم الطبيعية في دراسة السلوك الإنساني ومطالبا بضرورة تطوير مناهج جديدة ملائمة.

ينهض نموذج بلومر عن المجتمع على الأسس التالية: المعرفة والموقف والتوافق المتبادل.

2.4: تيار مدرسة ايوا: مانفريد كون (1911-1963) Manfred Kuhn:

يعبر عن الاتجاه الوضعي الإجرائي للتفاعلية الرمزية وإن كان لا يتعارض مع الأسس النظرية والمنهجية العامة للتفاعلية الرمزية. كما يتعارض مع بلومر في مناداته بعدم التطبيق الصارم للإجراءات المنهجية الدقيقة على السلوك الإنساني (مثله في العلوم الطبيعية).

ويعترف مانفريد كوهن بالصعوبة البالغة التي تواجه عالم الاجتماع الوضعي في إطار التفاعلية الرمزية، لأنه يهتم بالنواحي الذاتية والخبرات الشخصية الخاصة. كما يعارض كوهن التفرقة بين الأنا الداخلية والانا الخارجية، ويطالب بالاقتصار على الأخيرة منها أي الخارجية لأنها تتخذ سلوكات معينة مشتقة من سلوكات الآخرين. لهذا

[5] الدراسات الامبريقية أي الدراسات الميدانية فكلمة امبريقي هي الاستعارة العربية للكلمة الفرنسية: empirique

طوّر مفهوم "الجماعة المرجعية – référence groupe" على غرار الآخر المعمم عند ميد كأداة ملائمة لتفاعليته الرمزية.

3.4: نظرية الدور عند رالف تورنر: Ralf Turner

تعتبر أعمال "رالف تورنر" الأكثر تنظيما ممن شاركوا في تأسيس نظرية الدور، وهم يركزون على الطريقة التي تكون بها المحادثة الداخلية وسيطا للذات في تقديم نفسها في بنى الأدوار. أي عملية التأويل الداخلي والتي هي محادثة بين جزئين مختلفين من الذات. وتقدم المحادثة الداخلية قناة لابد أن تمر منها جميع المحادثات الخارجية أو أنماط التفاعل ويقتضي هذا المفهوم وصفا لعملية التنشئة الاجتماعية. خاصة اذا انطلقنا من مفهوم الذات باعتبارها "دمج الأنا الداخلية[6] (كيف انظر لذاتي أنا) مع الأنا الخارجية[7] (كيف أنظر إلى نفسي من وجهة نظر الآخرين لي)" وذلك في إطار العلاقة بين الذات والمجتمع. (علي غربي،2007: 233)

4.4: التيار التمثيلي عند ارفينغ كوفمان: Erving Goffman (1922-1988)

يمكن تصنيفه بين نظرية الدور ومدرسة شيكاغو، وهو يعرف بالمنظور المسرحي وهو مصطلح يستخدمه بنفسه.فالأدوار (توقعات الآخرين عن سلوكنا في ظروف معينة) هي بمنزلة نصوص نقوم بتمثيلها، ولهذا فهو مهتم ببيان الأساليب التي نسلكها لأداء أدوارنا. فسكان شتلند (قرب الساحل الإسكتلندي)[8]. كانوا يتركون واجهات بيوتهم تتآكل لكي يعتقد الملاّك أن ساكنيها غير قادرين على دفع إيجار أعلى. وينظر غوفمان لجميع أوجه الحياة من أكثرها خصوصية إلى أكثر جوانبها ظهورا وعلانية.

فعملية التصنيع أو التحكم في الانطباعات تقع باستمرار في حياتنا اليومية، ونحن نستخدم محيطنا المادي مجالا للتمثيل تاركين الكواليس ملاذا من عناء التمثيل. ويعتبر عمل غوفمان عمل وصفي وكتابه بمثابة تصنيف الأدوار واستراتيجيتها. (دبلة،2011: 19)

---

[6] تقابل الأنا عند فرويد EGO ومعناها أنها لم تدخل بعد في وعي الشخص.

[7] الأنا الخارجية توجه الأنا الداخلية وترشد السلوك الاجتماعي.

[8] الجزر التي أجرى فيها غوفمان معظم دراساته الميدانية لكتابه:"تقديم النفس في الحياة اليومية1971".

ثالثا:: مقارنة بين التبادلية والتفاعلية الرمزية:

- هيومانز: دراسة سلوك الجماعة.(النشاط+ التفاعل+العاطفة).
  النسق الداخلي+الخارجي=الذات.

- بيتربلاو: مستوى البناء الاجتماعي ≠ هيومانز (الجانب النفسي للأفراد).
  القوة الاجتماعي← ضبط السلوك الاجتماعي.

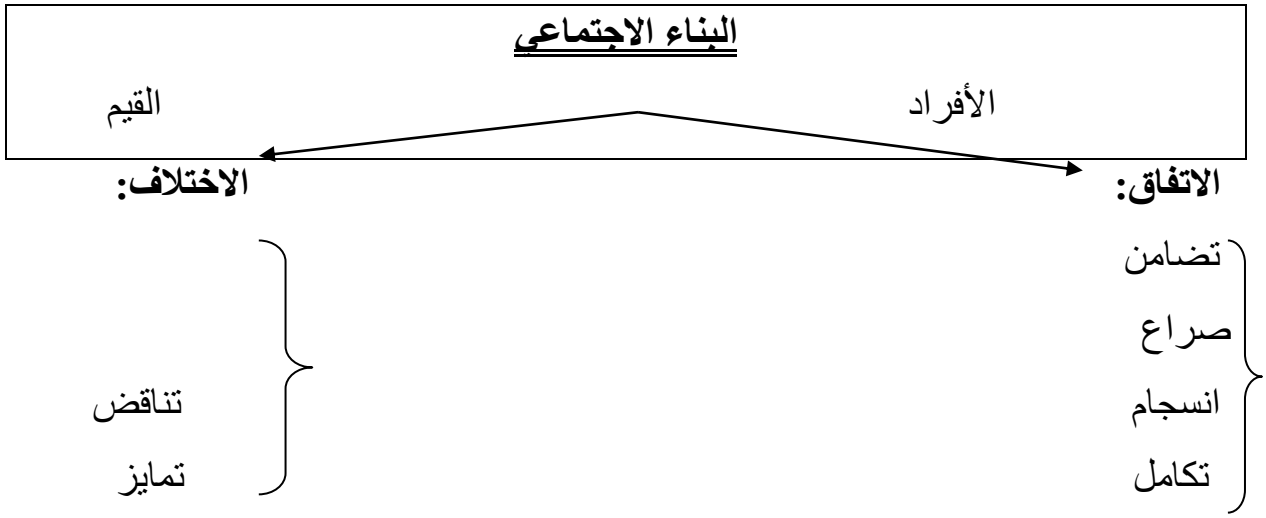

مفهوم التبادل الاجتماعي:

مثال: قيمة النجاح الاقتصادي: يستعمل **"بيتر بلاو"** هذا المفهوم لتفسير كافة أنماط التجمعات الإنسانية.

الاختلاف (تناقض، صراع، تفكك اجتماعي) > الاتفاق

البناء الاجتماعي بالنسبة لبلاو تلقائي يحدث نتيجة التفاعل والتبادل بين الأفراد.

الأفعال والتفاعلات على مستوى الوحدات الصغرى ← تنمو وتشكل البناء الاجتماعي.

استقرار البناء الاجتماعي:

عدم التوازن في المكافآت في عملية التبادل.

يعترف بعملية الخضوع كضرورة لاستمرار بعض المنظمات.

الخضوع ينتج عنه نوعان من المجتمعات:

مجتمع مستقر (المنفعة>العمل المبذول)

مجتمع التغيير (المنفعة< العمل المبذول)

النقد: نظرية بيتر بلاو تفسر العلاقات في ضوء مقولات اقتصادية خالصة.

التفاعلية الرمزية:المعاني و الرموز (وحدة الفعل الصغرى) ≠ بارسونز(النسق+الدور)

نتيجة الفعل الاجتماعي نتيجة الفعل الاجتماعي

← الفاعل←الفعل الاجتماعي←الإشباع المتبادل.

نجاح هذه العملية

↓

أنماط من أدوار المكانة

(بنية أدوار)

فشل العلاقة

↓

التخلي عن الفعل

(بدون معنى)

بارسونز:الفعل الاجتماعي. التفاعلية الرمزية:على مستوى الفعل الاجتماعي فقط.

↓ ↓

المجتمع (الأنساق) (البنى الاجتماعية هي بنى للأدوار يتم تحليلها

(البنى الاجتماعية هي بنى للأدوار على مستوى وحدات الفعل الصغرى)

على مستوى الأنساق)

فرضيات التفاعلية حسب هربرت بلومر:

- تصرف البشر ← حسب المعاني.
- المعاني← نتاج التفاعل الاجتماعي.

- كتاب (العقل والذات والمجتمع)

- مصطلح المحادثات الخارجية التي تمر عبر المحادثة الداخلية.

تيارات التفاعلية:

- مدرسة شيكاغو.

- مدرسة ايوا.

- نظرية الدور.

شيكاغو: هربرت ميد: الذات= الأنا الداخلية + الأنا الخارجية.

الضبط الاجتماعي= الأنا الخارجية في مواجهة الأنا الداخلية.

نمو الذات:
- مرحلة اللعب←تمثيل الأدوار دون إدراك.
- مرحلة المباراة←استيعاب التوقعات واكتساب الدور.
- الآخر المعمم: نظرة موضوعية للذات من خلال اعتبر نظرة الآخرين.

هربرت ميد: ⟺ هربرت بلومر:

ثلاثية العقل- الذات- المجتمع. البعد الذاتي الكيفي للسلوك.

(المعرفة – الموقف – التوازن – المتبادل)

رابعا: النظرية الظاهراتية: Phénoménologie

1. **تأسيس الظاهراتية:** ظهرت نظريات بديلة مهتمة بالتفاعل الاجتماعي في أواخر الستينات، حيث تختلف في جوانب عدة عن التفاعلية الرمزية ومن أهمها: علم اجتماع الحياة اليومية أسسها "إدموند هوسرل" الذي طور فلسفة بأن الحياة العلمية أصبحت منفصلة عن خبرة الحياة اليومية ونشاطها. ومهمة الفلسفة الظاهراتية هي إعادة تلك الصلة (وهذا نقد للوظيفة التي انفصلت عن نبض الحياة اليومية). (علي غربي،2007: 235)
2. **مفهوم الظاهراتية:** تعني الظاهراتية الوصول إلى الحقيقة الموضوعية من خلال الواقع حيث يصبح ما يعتقده الفرد واقعا، لذلك فإنّ وضع النظريات والفرضيات والقياسات قبل الدخول إلى الميدان سوف يشوه فهمنا لما يدركه الفرد الذي تقوم على دراسته ذاتيا. وهي طريقة لوصف الأشياء الموجودة فعلا كجزء من العالم الذي نعيش فيه، كما جاء ذلك من خلال كتابات ادموند هوسرل (1859-1938) مؤسس هذا الاتجاه النظري. والظاهرة قد تكون أحداثا أو مواقف أو تجارب أو مفاهيم، فنحن محاطون بظواهر عدة. (خالد حامد،2015: 127)

كما أنّ الظاهراتية هي دراسة الأشكال المختلفة للوعي وتنوعاته والطرق التي يعي بها الناس العالم الذي يعيشونه. فهي تكشف عن بنية الجهاز المفهومي لدينا وعن الطرق التي نمارس بها نحن وجودنا كآدميين، والتي تختلف عن الكائنات الطبيعية الأخرى مخالفة النقيض للنقيض. (خالد حامد،2015: 127)

ظهرت أواخر الستينات نظريات بديلة مهتمة بالتفاعل الاجتماعي وتختلف في جوانب عدة عن التفاعلية الرمزية و من أهمها: علم اجتماع الحياة اليومية.

مؤسسها "إدموند هوسرل" الذي طور فلسفته بأن الحياة العلمية أصبحت منفصلة عن خبرة الحياة اليومية ونشاطها. ومهمة الفلسفة الظاهراتية هي إعادة تلك الصلة (وهذا نقد للوظيفة التي انفصلت عن نبض الحياة اليومية). (خالد حامد،2015: 127)

3. **مفهوم القصد:** كل شكل من أشكال الوعي وهو دائما وعي بشئ ما، فليس هنالك فصل بين الذات والموضوع، حيث تتشكل ماهية الموضوع بواسطة نوعية القصد المعين الذي يعالج

من خلاله الموضوع. فالحقائق الاجتماعية لا يمكن فهمها أو إدراكها إلا من خلال معطياتها ومعانيها بالنسبة للأفراد في ذلك المجتمع.

4. روادها:

1.4: أعمال ألفرد شوتز: يعتبر تلميذا لهوسرل حيث تأثر بالفلسفة النفعية والتفاعلية الرمزية وبيّن كيف أننا نبني معرفتنا بالعالم الاجتماعي من مجموع الظواهر المضطربة التي لا معنى لها من خلال تصنيف الخبرات والتجارب على أساس التشابه (التنميط)، كالتمييز بين البيض والسود، الرجال والنساء، ثم أميز أناسا بعينهم (أمي، صديقتي).

وهكذا نحن نبني حسب (شوتز) سياقات المعنى وهي مجموعة من المعايير التي ننظم بها مدركاتنا الحسية ونحولها إلى عالم ذي معنى وإلى ذخيرة من المعرفة، وهي تشكل العالم بحد ذاته. وهكذا يحدد الفعل الاجتماعي في الوعي وينصّب الاهتمام على أفعال الوعي وليس على الفعل في العالم، والعالم الاجتماعي هو شيء نخلقه سويا وهي معرفة نكتسبها بالفطرة.

ترتبط هذه النظرية بتحليلات عالم الاجتماع **ألفريد شوتز** ومحاولته تطوير هذا المجال من الدراسات الاجتماعية مستخدما مجموعة من المداخل النظرية والأدوات التصورية، وذلك في تحديده بصورة عامة الأفعال الاتصالية التي يعتبرها أنشطة تحدث بصورة تلقائية.

وإن كانت تصورات شوتز فيما يسمى بعلم الاجتماع الفينومينولوجي ما هي إلا محاولة لتجميع أفكار هوسرل مع ما يعرف بسوسيولوجيا ماكس فيبر حيث سعى شولتز إلى تحليل أفكار الأول ومحاولته لإقامة فلسفة دون الاعتماد على فروض مسبقة، تقوم أساسا على الخبرة الذاتية للأفراد وإحساسهم ككائنات بشرية وبأنهم يعيشون ويتصرفون مع العالم ومع الآخرين ويشاركونهم في المعنى العام ولا سيما أنّ الجميع لديهم خبراتهم حول إدراك جميع الأشياء الخارجية التي تحيط بهم. كما ركز شولتز على الاهتمام بتحليلات ماكس فيبر من خلال فكرته عن معنى الفعل الاجتماعي وطبيعة الاتصال والسلوك والتي يتصرف على ضوئها الأفراد. وهذا ما يتبلور فيما يعرف بمقولة الفهم عند ماكس فيبر وتفسير الفرد للأشياء الخارجية التي تعتمد على واقع الخبرة والإدراك المستمر. (خالد حامد،2015: 218-129)

ويعد الفريد شوتز (1899-1959) هو من أرسى الإمكانيات السوسيولوجية التي تنطوي عليها الظاهراتية. فقد حاول من خلال مؤلفه فينومينولوجيا العالم الاجتماعي تفسير تشكل الظواهر من خلال الناس العاديين والخبراء والهدف من ذلك توضيح الثراء الفكري الذي يمكن أن تنطوي عليه محاولات التنظير بالاعتماد على الخبرات الشائعة.

ولقد عالج شوتز العديد من القضايا: الواقع الاجتماعي، مجالات المعنى، البناء الاجتماعي، التشيؤ، والافتراض الأساسي الذي تنهض عليه هذه القضايا هو أن الحياة اليومية التي تمثل نمط من التنظيم الاجتماعي، وأن العالم المحسوس والخبرة الحياتية يمثلان الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع. (خالد حامد،2015: 130)

2.4: **منهج الفينومينولوجيا عند هوسرل:** وجّه هوسرل انتقادات إلى علم الاجتماع بسبب ميله إلى محاكاة العلوم الطبيعية في نظرته للواقع الاجتماعي، وبذلك افتقد القدرة على الإحساس بظواهر الوعي ويستطيع هؤلاء العلماء تجاوز السطحية في دراساتهم وتفسيرهم للواقع إذا حاولوا النفاذ إلى ظواهر الوعي باستخدام الفهم الفينومينولوجي. وفي كتاباته اللاحقة وسع من نطاق الظاهراتية لتصبح فلسفة شاملة تحاول تحديد مجال الخبرة الخالصة التي نشأت من خلالها كل العلوم الاجتماعية. فهي جهد موجه لوصف الظواهر كما تتبدى لنا من خلال وعينا بها وبذلك يصبح الوعي وسيلة وهدفا للظاهراتية. (خالد حامد،2015: 129)

تستخدم الفينومينولوجيا للإشارة إلى كل ما هو واضح وثابت في الإدراك أو الوعي بالشعور الضروري، وبهذا المعنى فهي تسعى إلى وصف ظواهر الوعي وتوضيح كيفية تشكلها، ويرفض هوسرل رفضا صريحا النزعة السيكولوجية ومناهجها، ذاهبا إلى أنّ العلوم التي تدرس الإنسان بما في ذلك علم النفس وعلم الاجتماع تحاول تفسير الخبرات الإنسانية من خلال مجموعة من الأسباب الخارجية والداخلية وهي أسباب تعبر عن وجهة نظر الباحث أكثر مما تعبر عن وجهة نظر المبحوثين.

خامسا: منهجية النظام الاجتماعي:

1. **منهجية النظام الاجتماعي:**

ظهرت الإثنوميتودولوجيا كاتجاه قائم بذاته على يد هارولد جارفينكل الذي يهتم بدراسة الخصائص العقلانية للتعبيرات الدالة أي المتعلقة بسياق معين من الأفعال. تدعو إلى الدراسة الوصفية البحثية لوقائع الفكر والمعرفة على نحو ما نحياها في صميم وعينا، دون الانطلاق من نظرية المعرفة. فهي ترتكز اهتمامها على البدء بدراسة الحياة اليومية بناءا على الاعتقاد بأن فهم الحياة ينبغي أن يكون أساس لكل البحوث والنظريات الاجتماعية. فهي تدرس الواقع الاجتماعي فبعيدا عن المسلمات والأفكار المسبقة، دون فرض رؤية معينة. (خالد حامد،2015: 130)

تتمثل إحدى القضايا الأساسية لهذا الاتجاه في دراسة الأنشطة والممارسات الروتينية العادية. فإذا بدت البنى الاجتماعية صلبة وغير متغيرة فذلك لأن الأفراد يعتقدون فيها، بينما إذا رفضوا التسليم لما يسلم به الآخرون فسيمكن إعادة تشكيل الواقع من خلال إعادة تعريفه. وتظهر جدوى استخدام هذا المنهج في تزويدنا بمعطيات أصلية وجوهرية عن بلداننا النامية أو المتخلفة، نظر الدراسة الواقع دون صياغات نظرية.

ظهر هذا الاتجاه في الستينات كاتجاه إنساني رافض للافتراضات التي ترتكز عليها النظريات الوضعية، وتركيزها على الممارسات والأنشطة التي تشكل التنظيمات والأبنية والأنظمة الاجتماعية الأساسية. ويعتبر هذا الاتجاه تطورا هاما في علم الاجتماع لأنه يركز على مجموعة من القضايا التي لم تعالج بجدية من طرف علم الاجتماع التقليدي.

2. مفهوم الاثنوميتودولوجيا: يرى بعض المنظرين من أمثال روي تيرنر أن بدايات استخدامات النظرية يرجع إلى الكتابات المبكرة التي قام بها جارفينكل عام 1945 عندما اهتم بتحليل شرائط هيئة المحلفين، حيث كان مهتما بتحليل مادة المداولات وبكيفية معرفة هيئة المحلفين ماذا يفعلونه خلال عملهم في هذه الهيئة، كذلك دراساته حول العديد من الموضوعات الثقافية والمعرفية.

وتعني كلمة اثنو: إمكانية تكوين الحس أو الذوق العام للعضو، وعن إدراكه للمعرفة في مجتمعه وتنوع الذوق والحس العام، وهذا ما حاوله جارفينكل لدراسة الذوق العام لهيئة المحلفين ونوعية المعرفة لأعضائها. وهو يعني مجموعة من الأعضاء أو جماعة.

وتعني كلمة ميتودولوجي: المنهج أو الطريقة.

وبالتالي تعني كلمة الاثنوميتودولوجيا: طريقة الأعضاء نحو تحقيق شعور أو إحساس عام عن عالمهم الاجتماعي كما تعني كيف يسعى الناس لتحقيق إحساس أو ذوق عام لجميع أنشطتهم اليومية والحياتية فهي دراسة الطرائق التي يستخدمها الناس في حياتهم اليومية. وقد حرص جارفينكل على استخدام الاثنوميتودولوجيا كمفهوم عام ومدخل نظري ومنهج بحثي تحليلي للعديد من الخصائص والإجراءات والوسائل التطبيقية. (خالد حامد،2015: 131)

3. **أعمال هارولد كارفينكل:** ظهرت الإثنوميتودولوجيا كاتجاه قائم بذاته على يد هارولد جارفينكل الذي يهتم بدراسة الخصائص العقلانية للتعبيرات الدالة أي المتعلقة بسياق معين من الأفعال. ارتبطت نشأة هذه النظرية بأعمال كارفينكل وهي من أحدث النظريات في علم الاجتماع. وهي محاولة لإعادة تحديث الأفكار والمسلمات النظرية الفينومينولوجية. أما الفكرة الرئيسية التي قامت عليها هذه النظرية فانها تقوم على كيفية استمرارية المجتمع عن طريق الممارسة العملية الناتجة عن السلوك والأفعال العقلانية لأعضائه.

تدعو إلى الدراسة الوصفية البحثية لوقائع الفكر والمعرفة على نحو ما نحياها في صميم وعينا، دون الانطلاق من نظرية المعرفة. فهي ترتكز اهتمامها على البدء بدراسة الحياة اليومية بناءا على الاعتقاد بأن فهم الحياة ينبغي أن يكون أساس لكل البحوث و النظريات الاجتماعية. فهي تدرس الواقع الاجتماعي فبعيدا عن المسلمات والأفكار المسبقة، دون فرض رؤية معينة .

تتمثل إحدى القضايا الأساسية لهذا الاتجاه في دراسة الأنشطة والممارسات الروتينية العادية. فإذا بدت البنى الاجتماعية صلبة وغير متغيرة فذلك لأن الأفراد يعتقدون فيها، بينما إذا رفضوا التسليم لما يسلم به الآخرون فسيمكن إعادة تشكيل الواقع من خلال إعادة تعريفه. وتظهر جدوى استخدام هذا المنهج في تزويدنا بمعطيات أصلية وجوهرية عن بلداننا النامية أو المتخلفة، دراسة الواقع دون صياغات نظرية.

4. **عوامل ظهور نظرية الاثنوميتودولوجيا:**

1.3: رفض فرضيات الوضعية: ظهر هذا الاتجاه في الستينات كاتجاه إنساني رافض للافتراضات التي ترتكز عليها النظريات الوضعية، وتركيزها على الممارسات والأنشطة التي تشكل التنظيمات والأبنية والأنظمة الاجتماعية الأساسية. ويعتبر هذا الاتجاه تطورا هاما في علم الاجتماع لأنه يركز على مجموعة من القضايا التي لم تعالج بجدية من طرف علم الاجتماع التقليدي:

2.3: فقدان الثقة في الوظيفية: ومن عوامل ظهورها فقدان الثقة في النظرية البنائية الوظيفية التي لم تعد الإطار المرجعي للتفسيرات السوسيولوجية بصورة مرضية وتفسير الواقع خاصة بالنسبة للمجتمع الأمريكي. وهذا ما أدّى إلى وجود تناقض بين الرؤية النظرية والواقع الذي تقوم بتفسيره ولا سيما عدم اهتمامها بمجموعة من القضايا والتناقضات مثل: مشكلة التفرقة العنصرية وهيمنة السلطة السياسية وانتشار الأمراض الاجتماعية كالجريمة وغيرها. (خالد حامد،2015: 130)

كما انج دورها الفكرية قد ارتبطت بصورة خاصة بالفينومينولوجيا وبالتفاعلية الرمزية، تلك النظريتين اللتين انتشرتا في المجتمع الأمريكي نتيجة لهجرة مجموعة من الشباب الألمان، والذين أسهموا في إنشاء مدارس سوسيولوجية متميزة.

5. الافتراضات الأساسية للنظرية:

1) افتراض وجود نظام أخلاقي هو البناء الاجتماعي الذي يقوم على مجموعة من القيم والمعايير ويعتبر أساسا للتنظيم الاجتماعي.
2) ترتبط جميع التنظيمات بالنظام الأخلاقي فهو الأساس التفسيري للحقيقة الاجتماعية.
3) ضرورة قيام الأفراد باعتبارهم أعضاء في المجتمع بتوجيه أفعالهم وسلوكهم نحو متطلبات النظام الأخلاقي، حتى يمكن فهم حصيلة أنشطتهم.
4) يتميز التنظيم الاجتماعي والأخلاقي بالتغير المستمر.

5) <u>المنهج الاثنوميتودولوجي ودراسة الواقع الاجتماعي:</u>

يرتكز هذا المنهج كما تصوره جارفينكل حول تطبيق افتراض الفريد شوتز الذي اهتم فيه بطرح مشكلة العقلانية ونماذج الحقيقة الاجتماعية التي يجب أن يهتم بها علم الاجتماع ولا سيما سوسيولوجيا المعرفة، كما يجب أن يهتم هذا المنهج في مجال جمع البيانات الاجتماعية بالدراسات الميدانية.

ويرى عدد من روّاد الاثنوميتودولوجيا أنّ العالم يعتبر موجودا في حالة تعقل وإدراك وفهم أفراده لطبيعة ومضمون هذا الوجود وخاصة التأكيد على الوجود الواقعي لمدركات الحقائق والأشياء والظواهر التي توجد في العالم الطبيعي والاجتماعي، لذلك تهدف النظرية من الناحية المنهجية إلى جعل أفعال وسلوكات الأفراد وطرق حدوثها في مواقف اجتماعية معينة قيد البحث والدراسة والتحليل والتفسير والتعليل وذلك بدراسة الحقائق الاجتماعية كأشياء ثم أدائها بالفعل وتحليل العلاقات والظواهر السببية المرتبطة بها، علاوة على تحليل البيئة الطبيعية والاجتماعية التي ارتبطت بها أثناء إتمام الحقائق والسلوكات. (خالد حامد،2015: 132-133)

6) **مفهوم الذوق العام للمعرفة:ايرون سيكوريل:** احد رواد النظرية الاثنوميتودولوجيا الذين حددوا مهمة النظرية وأهدافها في تحليلها لوظيفتها كنظرية ومنهج يهدف إلى تطوير علم الاجتماع وجعل النظرية تسهم في عملية تفسير كيفية تشكيل الواقع الاجتماعي، ويشاركه في ذلك موهان و"وود" أما على المستوى الامبريقي فقد سعى إلى أن يربط بين آرائه النظرية ورؤيته التحليلية والبحثية التي تصور فيها الفينومينولوجيا كمنهج حيث يرى انه عندما يسعى الباحث أو الإنسان العادي ليدرك عملية الإحساس بوجود البناء الاجتماعي يجب أن يتوخى الدقة في تفسير هذا الإحساس أو الوعي. وقد تبنى في ذلك بما يعرف الذوق العام للمعرفة، وهذا ما نجده كذلك في تحليلات ساكس للمحادثة: فالمحادثات التي تتم بين الأفراد ما هي إلا نوع من الوصف والتفسير للتصورات التي يتمتع بها المتحدثون العاديون، وقد قام بتحليل محادثات الانتحار معتبرا أنّ دراسة دوركايهم عن الانتحار من أهم نماذج البحث الاجتماعي، وقد استخدم مادة الانتحار المعمقة في المحادثات التي يقوم بإملائها المنتحر ذاته أو من

يقوم بالإبلاغ عنه، وذلك باستخدام تحليل مضمون الشرائط المسجلة بين العاملين في مركز منع الانتحار. (خالد حامد،2015: 133)

7) **دراسة موهان و وود:** تعتبر من أهم الإسهامات التي ظهرت في السنوات الأخيرة خاصة دراسة الواقع الاجتماعي، وذلك باعتباره كحقيقة اجتماعية يرتبط بممارسات ووعي الفاعلين أو الأفراد الذين يقومون أو يحددون بناءات المعنى ولكن يفهمان العالم أو الواقع الخارجي باعتباره شيئا مستقلا عن أنشطتهم وأفعالهم، وذلك بالاستناد على عدة عناصر: التأملات الناتجة عن الواقع الاجتماعي-مكونات المعرفة الاجتماعية- التأمل الذي يحدث في عملية التفاعل- ويطرحان خمس وجهات نظر حول الواقع. (خالد حامد،2015: 133-134)

1) الواقع كنشاط تأملي: فجميع الناس يشتركون في عملية تكون الواقع الاجتماعي من خلال أفكارهم وأفعالهم.
2) الواقع كبناء معرفي متماسك: يقوم الناس خلال أنشطتهم اليومية بتصنيف العالم إلى مجموعة من الوقائع المتماسكة.
3) الواقع كنشاط تفاعلي: الواقع الاجتماعي عملية موجودة يعتمد على سلسلة متداخلة أو متبادلة التفاعل والتكوين الاجتماعي للأعضاء أو المشاركين فيه.
4) إمكانية تجزئة الواقع: تتميز الوقائع الاجتماعية بخاصية التجزئة وليست كبناءات جامدة.
5) الوقائع لها القدرة على الازدواجية والتنوع: فالناس يستطيعون العيش في عوالم متنوعة فالفرد يتحرك في فضاءات اجتماعية مختلفة من الفصل الدراسي إلى الألعاب إلى الأنشطة الأخرى.

8) **دراسة ويلكنز:** من أهم الدراسات التي اهتمت بتحليل الأساليب والطرائق المستخدمة من طرف هيئات المحكمة مثل المحلفين، وسماع الشهود والاتهام وكيفية تفريغ هذه التسجيلات للتحقق منها ودراستها ومعرفة الظروف المحيطة بالجريمة وكيفية تصور المشاهد التي تم فيها إجراء وتنفيذ الجريمة فضلا على أنه اهتم بعملية صنع القانون من خلال دراسة أنواع وكيفية إعداد التشريعات. (خالد حامد،2015: 134)

9) **<u>دراسات بولنر وسميث وهيستر:</u>** وتطورت الدراسات الاثنوميتودولوجية في المؤسسات القانونية والقضائية وخاصة المحاكم وهذا ما نجده في والتي أطلق عليها دراسة اثنوميتودولوجيا الجريمة والتي اهتمت في مجملها بإعادة تعريف وتمييز الجريمة كنوع من السلوك الإنحرافي للأفراد والتي يمكن تفسيرها وتحليلها وملاحظتها وتقديرها بواسطة الأفراد القائمين على عمليات الحكم من هيئات المحلفين والقضاة والبوليس وغيرهم. (خالد حامد،2015: 135)